طبع في المطبعة العصرية - الموصل

$4

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܪ̈ܒܐ
ܐܘ ܦܫܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܡܬܐ ܒܝܬ ܢܡ̈ܘܣܐ
ܘܢܘܒܠܐ ܡܢ ܒܢ̈ܝ ܥܠܡܐ ܘܫܡܝܐ ܕܢܫܒܘܩ ܢܦܠ ܘܠ
ܠܒܠ ܠܗ ܫܒܪܐ ܠܟܠ ܢܫܒܘܩ ܢܗܘܐ ܠܗ ܫܒܪܐ ܠܒܠ
ܒܚܬܘܡܗ ܕܒܝܬܐ ܕܢܗܘܐ ܠܗ ܠܕܘܒܠܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

سلسلة كلام الله (١٨)

الخليقة الجديدة

و

الميلاد الثاني

(الجزء الثاني)

تعريب

الأب عمانوئيل حنا بتق

طبع في المطبعة العصرية - الموصل

CAHIERS "EVANGILE" PARIS

No 43 : LA NOUVELLE CREATURE

ليطبع

+ قورلس عمانوئيل بني

رئيس اساقفة الموصل وتوابعها للسريان الكاثوليك

١٩٦٦/٤/٨

الميلاد الجديد

لقد جد الرسول بولس سحابة حياته كلها ، في دعوة الناس طراً ، الى تسليم ذواتهم « لفرط عظمة قدرة الله » الذي اقام يسوع من القبر ، والذي لكثرة محبته لنا ، يريد اجراء تغيير جذري فينا لكي يشركنا في حياة ابنه الابدية والسعيدة .

تعليم « جامع »

ولكن أيمكن القول بأن هـذا التعليم خاص ببولس فقط ؟ كلا فبولس ليس شاهداً كبقية الرسل ، لتعليم مشترك ، معينه الوحيد المسيح والانبياء . فعندما يعلن في رسائله ، « التجلي » او « التغيير » المعروض على البشر قاطبة ، فهو لا ينادي ولا يبشر الا بالتعليم الذي ينادي به جميع ملهمي الكنيسة الناشئة ، والذي علينا ان نوليه اعتبارنا . ولنا في قراءة مخلفات بقية الرسل ، اسطع شهادة على ما نحن في صدده .

واننا سنقف على مصدر هـذا التعليم المشترك في البشرى السارة الواردة في

الاناجيل الازائية . لاشك اننا سنجد هنا شيئاً من الغموض ، وذلك للاسلوب الذي كتب به هـذا التعليم . ولكن تلك طريقة تعليمية ، اختارها المسيح لتجاوبها وقلة استعداد تلاميذه لقبول الحقائق الجديدة .

اما يوحنا الرسـول ، فسيصب التعليم عينه في قالب واضح . وستظهر اقوال المسيح الخاصه بالميلاد الجديد ، الممنوح للمؤمنين ، بجلاء ساطع في انجيله الروحي .

ثم ان الانبياء قد سبقوا فمهدوا الناس لهذا التعليم . انهم بفضل نور الله قد استشفوا فيه عدة نقاط اساسية .

لهذا ، هدفنا في هذا القسم ، اظهار شمول هذا التعليم الذي بثه رسول الامم.

- وللبلوغ الى هذه الغاية ، نعرض اولاً ، تعليم الرسولين : يعقوب وبطرس ،
- ثم نقرأ الاناجيل الازائية ... ومخلفات القديس يوحنا : انجيله ورسالته الاولى
- وفي الختام نلقي نظرة خاطفة على العهد القديم الذي مهد ، ولو عن بعد ، بحثنا هذا (١)

« كنت قد قلت : « انتم أرباب ، ابناء العلي الاعلى انتم جميعاً »

(المزمور : ٨٢ ، ٦ ، طالع : يوحنا : ١٠ ، ٣٤)

(١) لقد تركنا هنا مقطعاً يجمل ما عرضناه في القسم الاول .

(المعرب)

— ١ —

رسائل القديسين يعقوب وبطرس

= مولودون من جديد =

لنفحص اولا رسائل القديسين يعقوب وبطرس . ان الشهادات الرسولية المسندة الى هذين الرسولين ، ستحدثنا عن « الميلاد الجديد » ، وعن الدور الذي تلعبه « كلمة » الله المقبولة بايمان ، في تحولنا وتغييرنا . اضعف الى ذلك ، ان القديس بطرس ، سيكلمنا عن العماد الذي يسلمنا الى الله الذي اقام يسوع . كما وان رسالته الثانية ، ستوقفنا ، بعبارات مجملة ، ولكن فريدة ، على ماهية الشرف الوسيم الذي تتمتع به الخليقة التي حولها الله جذرياً : انها تشترك في الطبيعة الالهية نفسها .

الذين ولدتهم كلمة الحق

- القديس يعقوب -

لا يرمي يعقوب [١] « عبد الله ، والرب يسوع » ، الى تأليف بحث في تحول

(١) هو يعقوب الصغير ابن حلفى الذي يسمى اخا الرب وكان اسقفاً على اورشليم (اع : ١٢/١٧ ؛

البشر ، والحياة الجديدة ، والميلاد الجديد ، انما هدفه الوحيد تشجيع المسيحيين المنبثين في العالم ، والمدعوين باسم « الاسباط الاثني عشر الذين في الشتات » (يعقوب : ١ / ١) .

لكنه ، اذ يتطرق الى الاضطهاد ، الذي لا يمكنه ان يلقي في الريب والقلق ، الا الذين تنقصهم الحكمة الحقة ، اي اولئك الذين يلقون على الله مسؤولية محنهم وتجاربهم ، يذكر المسيحيين ، بكل ماهم مدينون به « لابي الانوار » الذي منه تهبط كل العطية الصالحة ، عطية الميلاد الجديد .

« فلا تغلطوا ، يا اخوتي الاحباء ، انما كل عطية صالحة ، وكل هبة كاملة تهبط من فوق ، من لدن ابي الانوار . . . انه بمشيئته ولدنا بكلمة الحق ، لنكون باكورة من خلائقه »

(يعقوب : ١٦/١ ـ ١٨)

اذن ، فمشيئة الله الصالحة ، هي العلة الاولى لهذا التغيير الذييجريه الرب في خاصته . وهنا يلتقي القديس يعقوب بالقديس بولس زميله (طالع : افس : ٥/١ ؛ ١١/١ ؛ اتسا : ٣/٤)

يشبه الرسول يعقوب هذا التحول بالولادة . ويستخدم عندئذ لفظة خاصة به لكنا نجد ما يقابلها في الرسائل الاخرى . ثم يتطرق الى التناقض الموجود بين عمل الله والشهوة الخاطئة التي سبق بولس ففضح مفاعيلها . لقد كتب يعقوب :

١٣/١٥ ، ١٨/٢١ ، ١ كور : ٧/١٥ ، غلاطية : ١٩/١ ، متى : ٥٥/١٣ ، ٣/١٠ ، و : ١٨/٣، لو : ١٥/٦ ، اع : ١٣/١ ، و ٤٠/١٥ ، غلاطية : ٩/٢ ، اع: ١٣/١٥ .

« انما كل واحد تجربه شهوته الخاصة ، اذ تجتذبه وتستغريه . ثم الشهوة اذا ما حبلت تلد الخطيئة ، والخطيئة اذا ما تمت تلد الموت » .

(يعقوب : ١ / ١٤ ـ ١٥)

ان نتيجة عمل الله مختلفة ، فهي لا تقود الى الموت (روم : ١٢/٥ ؛ ٥/ ٢١) بل تجعل من الذين قد ولدتهم كلمة الله ، « باكورة من خلائقه » . والمقصود بهذه العبارة ، حصة الرب الخصوصية : فكما ان بواكير ثمار الارض كانت في العهد القديم، مخصصة بالرب ، هكذا الشأن مع اولئك الذين ولدتهم كلمة الله ، بواكير الخلق الجديد [١] الذي شرع العلي في انجازه .

هذه الولادة ، هي ثمرة كلمة الحق : اي الحكمة السماوية والشرعة الجديدة الكاملة التي تمنح البشر الحرية والسعادة [٢] .

الكلمة المغروسة فينا

لا يجهل الرسول يعقوب ، ان عمل الكلمة هذا ، هو تدريجي ، كعمل الشهوة

(١) البواكير في العهد القديم ، كانت اوائل حاصلات الارض ، وكانت تحفظ لتكون حصة الرب (خر : ٢٣ / ١٩ ؛ ٣٤ / ٢٦ ؛ لاو : ٢٣ / ١٠ ـ ١١ ... ١٧ ؛ تثنية : ٢٦ / ١ ـ ١١ ، أمثال : ٣ / ٩ ، حز : ٢٠ / ٤٠ ، ٤٤ / ٣٠) . وقد اطلق ارميا هذه اللفظة على الشعب المختار (٢ / ٣) . اما القديس يعقوب ، فيعتبر المسيحيين باكورة الخلق الجديد (طالع : ٥ / ٧ ، رؤيا ١٤ / ٤) .

(٢) (طالع : يعقوب : ٣ / ١٣ ، ١ / ٢٥ ... ، افس : ١ / ١٣ ، كول : ١ / ٥ ، ١ تسا : ٢ / ١٣ ، تيم : ١ / ١٥) .

الشريرة . لذلك على كلمة الحق ، بعد ان غرست فينا ، ان تنمو وتكبر ، كما وعلينا ان نمهد لها الطريق ، وذلك بالتخلي عن كل ما تبقى فينا من الشر والدنس :

« لذلك اطرحوا عنكم كل نجاسة، وكل طغيان شـر ، واقبلوا بوداعة الكلمة التي غرست فيكم ، وفي وسعها أن تخلص نفوسكم » .

(يعقوب : ١ / ٢١)

ولن يتوقف قبول الكلمة الحقيقي على سماعها فحسب ، بل على العمل بها ايضاً :

« ولكن كونوا عاملين بهذه الكلمة ، لا سامعين لها فقط ، فتضروا انفسكم ... كمن يمارس العمل فهذا يكون سعيداً في عمله . »

(يعقوب : ١ / ٢٢ ... ٢٥)

لقد دعانا الرسـول بولس ، فيما سلف ، « لنعكس كما في مرآة مجد الرب » (٢ كور : ٣ / ١٨) . أما يعقوب ، فلربما يرى ، في السامع الحقيقي للكلمة ، انساناً ينظر كما في مرآة ، صورة شخصه المثالية ، التي يعرضها عليه الرب كنموذج للحياة . فان هـو ظل حقاً تحت تأثيرها ، لن يسعه إلا التشبه والتمثل بها ، في كل اعماله وتصرفاته ، وذلك بملء الحرية والكمال .

فما ينتظره منا إلهنا وأبونا بسيط جداً :

« ان الديانة الطاهرة الزكية في نظر الله الاب ، هي افتقاد اليتامى والارامل في ضيقهم ، وصيانة النفس من دنس العالم » .

(يعقوب : ١ / ٢٧)

ان بولس مع تشديده على مبادهة الله المانح الحياة الجديدة ، لم يكل من ذكر السهر والاعمال الصالحة ، التي يجب ان يقوم بها كل من قبل الكلمة ، واضحى كائناً جديداً .

الميلاد المسيحي الجديد

— رسالة بطرس الاولى —

نلاحظ في مستهل الرسالة التي أملاها الرسول بطرس على تلميذه سلوانس ، أفكاراً متشابهة لما جاء في رسالة القديس يعقوب . ولكن سرعان ما تتجه رسالة بطرس نحو رفع آيات الحمد والثناء لله .

« تبارك الله ربنا يسوع المسيح ، الذي على حسب رحمته الكثيرة . ولدنا ثانية ، بقيامة يسوع المسيح من بين الاموات لرجاء حي ، وميراث لا يفسد ولا يتدنس ولا يذوي ، محفوظ لكم في السماوات » .

(١ بطرس : ١ / ٣ ـ ٤)

الفاظ وجيزة تتطرق الى الميلاد الجديد . ان القديس بطرس يوضح علاقته ليس بمشيئة الله الصالحة ورحمته الكثيرة فحسب ، انما أيضاً بقيامة المسيح، التي هي ينبوع رجائنا ومعينه .

استناداً الى النص الآنف الذكر ، يمكن اعتبار الوصول الى الحياة الجديدة ،

على شاكلة نفسية محضة : ان حياة بطرس قد تغيرت جذرياً منذ ان تراءى له المسيح المنبعث ، وذلك قبل ان يغيره روح العنصرة .

ومن ثمة فهو يعرف ان في وسعه ان يرجو الحياة بعد الموت على غرار معلمه . وهذا ما ادى به الى اعتبار انبعاث سيده عربون الخيرات التي هي موضوع رجائنا الحي وان يشدد على الميراث والخلاص اللذين سننالهما يوماً :

« وميراث لا يفسد محفوظ لكم في السماوات ، انتم الذين تصونهم قدرة الله بالايمان ، لاجل الخلاص العتيد ان يعلن في الزمن الاخير » .

(١ بطر : ١ / ٤ ـ ٥ ؛ طالع : كول : ١ / ٥)

الا ان فكرة زعيم الرسل ابعد مدى فاننا منذ الآن قد تحولنا . وقد اشار الرسول في مقدمة رسالته الى تقديس الروح . انه لمن المحال ان نحد بنوع قاطع هل المقصود هنا تقديس روحنا ، أم التقديس الذي يمنحه الروح الالهي . مهما يكن من أمر فالاشارة الى التغيير والتقديس اللذين هما منحة الروح ، واضحة وثابتة .

وفي المقدمة ذاتها يتكلم الرسول عن المفاعيل التي يجريها هذا التقديس : فهو يتم فينا الطاعة ليسوع ، ويشركنا في الوقت عينه ، في« رش دمه » . لا شك ان مراسيم الرش في العهد القديم التي كانت تهب المتنجسين طهارة جسدية فقط ، ما زالت حاضرة في فكر هامة الرسل .

ان الرسالة الى العبرانيين ، تقابل مفاعيل هذا الرش القديم ، بما يحدثه فينا دم المسيح ، الضحية التي تولي التقديس المطلق والكامل . ان دم المسيح يطهر الضمير

لعبادة الله الحي .

« لانه ، ان كان دم ثيران وتيوس ... يرش على المنجسين فيقدسهم لتطهير الجسد فلكم بالاحرى دم المسيح ، الذي بروح ازلي قرب لله نفسه بلا عيب ، يطهر ضميرنا من الاعمال الميتة لنعبد الله الحي »

(عبر : ٩ / ١٣ ـ ١٤)

وفيما يلي سيكلمنا القديس بطرس عن تغيير الضمير ، وعلاقته بالعماد .

حياة المولودين ثانية

بادىء ذي بدء يصف لنا الرسول الثمار التي يحدثها فينا الايمان بالقيامة . ان القيامة تبرهن لنا على ان المسيح هو « ذلك الحمل الذي لا عيب فيه ولا دنس » الذي دمه الثمين يقدر ان يحررنا « من تصرفنا الباطل الموروث من آبائنا » . كما وتؤكد لنا باننا نستطيع ان نولي الله الذي اقامه من بين الاموات ثقة وطيدة ونضع فيه ايماننا ورجاءنا .

« عالمين انكم لم تحرروا من تصرفكم الباطل الموروث من آبائكم ، باشياء تبلى بالفضة والذهب ، بل بدم كريم ، دم المسيح ، ذاك الحمل الذي لا عيب فيه ولا دنس ... انتم الذين بواسطته تؤمنون بالله ، الذي اقامه من بين الاموات واتاه المجد ، بحيث ان ايمانكم ورجاءكم يكونان من الله »

(١ بطرس : ١ / ١٨ / ٢)

ان بطرس والحق يقال يفكر في تحول كياننا العميق ، والحصول على حياة جديدة حينما يتكلم عن الميلاد الثاني .

« فاذ قد طهرتم انفسكم بطاعة الحق ، لاجل محبة اخوية لا رياء فيها ، أحبوا بعضكم بعضاً محبة قلبية حارة ، ولا سيما وقد ولدتم ثانية لا من زرع فاسد بل من زرع غير فاسد ، بكلمة الله الحية الخالدة . لان :

« كل جسد كالعشب

« وكل روائه كزهر العشب ، العشب قد يبس ، والزهر قد سقط ؛

« اما كلمة الرب فتثبت الى الابد .

« وهذه الكلمة هي التي بشرتم بها »

(١ بطرس : ٢٥/٢٢/١ ، طالع اشعيا : ٨/٤٠)

سيحدثنا الرسول يوحنا ، بدوره ، عن الحياة الجديدة المغروسة فينا ، بفضل نبت الهي . ان الامرين يعودان الى يسوع نفسه ، الذي كان قد تحدث عن الزرع الالهي ، وعن كلمته التي القاها في العالم ، كالبذر في الارض .

ان المحبة ، في نظر بطرس ، كما في نظر يعقوب ، هي العلامة الفارقة للحياة الجديدة . انهما على اتفاق تام مع الرسول بولس .

ثم يوضح هامة الرسل ، مظاهر هذه الحياة ، في الاحوال والظروف المختلفة

التي يعيش فيها « المطيعون » (١) اي اولئك الذين صاروا ، ببشارة الكلمة الحية « اولاداً قد ولدوا ثانية » ، والذين سينمون بهذه الكلمة التي هي بذر وغذاء معاً (١ بطرس : ٢/٢)

المخلصون « بالماء » ـ بالعماد ـ

لقد دار الحديث الى الآن حول مهمة رحمة الله والكلمة ، والروح ، ودم المسيح ، في عمل ميلادنا الثاني . بيد أن الرسول لا يجهل وجود فعل خاص يختم الدخول في هذه الحياة الجديدة ، ألا وهو العماد الذي طالما اطنب فيه الرسول بولس.

اما عبارة بطرس في العماد فهي وجيزة مقتضبة ، إلا انه يقدم فيها تحديداً دقيقاً عنه : انه يعمل لخيرنا ما كان الطوفان قد انجزه ، رمزياً ، يوم احتفظ بعدد يسير من الناس ليكونوا أرومة بشرية جديدة . « عدد يسير من الناس ـ ثمانية انفس بالضبط ـ نجا في التابوت بالماء » (١ بطرس : ٣ / ٢٠) ، ان ما يقابل هذه النجاة بالماء ـ التي يكلمنا عنها التكوين ، هو:

« ... العماد الذي يخلصكم الان والذي ليس ازالة اقذار الجسد ... »

(١ بطرس : ٣ / ٢١)

---

(١) ١ بطرس ١ / ١٤ ؛ طالع : ١ / ٢ ؛ ١ / ٢٢ ؛ وهناك بحث في طاعة الايمان : (أع : ٦ / ٧ ، وخاصة رسائل القديس بولس : روم : ١ / ٥ ، ٦ / ١٦ ـ ١٧ ، ١٠ / ١٦ ، ١٥ / ١٨ ، ١٩/١٦ ... ٢٦ : ٢ كور : ٥/١٠ ـ ٦ ، ٢تسا : ١ / ٨ ، عبر : ٩/٥ ، ٨/١١) .

كمراسيم التطهير العديدة التي يفرضها الناموس القديم ، أو كالغسل الذي ينظف جسمنا ، لكنه :

« ... معاهدة الضمير الصالح لله بقيامة يسوع المسيح الذي هو عن يمين الله مذ انطلق الى السماء واخضعت له الملائكة والسلاطين والقوات » .

(١ بطرس : ٣ / ٢١ ـ ٢٢)

فالمعمودية اذن معاهدة لله الذي اظهر ذراعه القوية في بعث المسيح وتمجيده ، معاهدة تتمخض عن تطهير عميق للضمير ، كما في الرسالة الى العبرانيين .

كان العماد ، في نظر رسول الامم ، يفترض الاشتراك في موت المسيح وقيامته. وهذه فكرة يعهدها جيداً هامة الرسل . فالذي اقتبل العماد ، قد « احتمل في جسده » ضحية مشابهة لضحية المسيح ، « ومات عن الخطيئة » (١ بطرس ٢ / ٢٤) . لذلك عليه ان يصرف بقية حياته ، ليس بمقتضى الجسد واهوائه ، بل بموجب ارادة الله .

« واذن ، فبما ان المسيح قد تألم في الجسد ، تسلحوا انتم ايضاً بهذه الفكرة عينها : ان من تألم في الجسد قد قاطع الخطيئة ، لكي يحيا ـ فيما بقي له من الزمان في الجسد ـ لا لشهوات الناس ، بل لمشيئة الله » .

(١ بطرس ٤ / ١ـ٢ ؛ طالع : ٣ / ١٤ ـ ١٨)

كما وعليه ان يسلك ، مسلكاً مشبعاً بالصبر والعذاب ، وان يعيش عيشة مثالية تضارع عيشة المسيح ، منتظراً يوم الدين الذي فيه سيجازيه الديان

العادل [1]. انه سيصل بامان الى هذا اليوم الاخير ، بشرط ان يحفظ نفسه من الكبرياء ، وان يخضع للرب بتواضع (١ بطرس ٥/٦ـ٩) . هذا علاوة على أيد نعمة الله الذي « دعاه في المسيح الى المجد الخالد ... » والذي

« ... له العزة الى دهر الدهور ! امين . »

(١ بطرس ٥/١١)

ان هذه الرسالة الموجهة الى مسيحيي آسيا الصغرى ، لسندهم وتشجيعهم وسط الاضطهادات والآلام ، ليست الا صدى الوعظات القديمة الملقاة ، في الايام المسيحية الاولى ، على اولئك الذين كانوا يصبحون بايمانهم وعمادهم ، اي بنعمة الميلاد الجديد ، « اولاد الآب الصغار [2]

المشتركون في الطبيعة الالهية

- رسالة بطرس الثانية -

ان هذه الرسالة الموجهة الى المؤمنين ، «باسم سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله » (٢ بطرس : ١/١) تطري القدرة الالهية التي وهبتنا المواعيد العظمى

(١) ١ بطرس : ٤ / ٣ ، طالع : ٢ / ١١ـ١٢ ، ٢ / ٢٠ـ٢٣ ، ٣ / ١٤ - ١٨ .

(٢) يعتبر عدد كبير من المفسرين والكتاب هذه الرسالة صدى خطبة ، أو خطب كثيرة ، القيت في مناسبة العماد . كما وفيها أيضاً إشارة الى عبارات ليتورجية كانت تستعمل ، قديماً ، اثناء العماد (طالع : ١ بطرس : ٣ / ٢١ - ٢٢ ، ٣ / ١٨ : قد تكون هذه عبارات بها يعلن المعتمد الجديد ، ايمانه بالمسيح) .

كما اخبر عنها الانبياء .

انها تقدم لنـا ، رغم ضعف تركيبها ولهجتها المماثلة احياناً للهجة رسـالة يعقوب ، عنصراً هاماً ، لمعرفة الحياة الجديدة التي يمنحها الله « للذين دعاهم بمجده الخاص وبقوته » (٢ بطرس : ٣/١) .

ويقول الرسول بولس عن المؤمنين ، قبل ان يجعل الرب منهم خلقاً جديداً ، انهم كانوا آنئذ « ابنـاء غضب بالطبيعة » (افس : ٣/٢) . ثم يحمد الله الذي ـ اذ جعلنا بشكل خاص « صنعه » ـ قـد خلقنا في المسيح يسوع للاعمال الصالحة ، التي اعدها الله من قبل لنسلك فيها (افس : ١٠/٢) .

غير ان رسالة بطرس الثانية ، تبين لنا بوضوح حاسم ، ماهية التحول الذي يجريه الرب بقدرته الرفيعة ، في الذين يعرفهم بذاته . انـه بهذه القدرة العظيمة يتحدهم بحياته نفسها ، ويشركهم في « طبيعته الخاصة » .

« ... قد وهبت لنا كل ما يؤول الى الحياة والتقوى ... حتى تصيروا بها شركاء في الطبيعة الالهية اذا ما تخلصتم من الفساد ، الذي في العالم بالشهوة »

(٢ بطرس ١/٣...٤)

أن لفظة « الشركاء » التي استعملها الرسـول بولس ، عندما شـكر امانة الله الذي « دعانا الى شركة ابنه » (١ كور : ١٩/١٠ ، سنجدها ايضاً لدى القديس يوحنا الذي يفتتح رسالته الاولى ، بتمجيد هذه « الشركة » في الحياة الخالدة التي يتمتع بها الله الاب ، وابنه يسوع المسيح . (١ يو : ١/ ١ـ٣) .

« اما كلمة « الطبيعة » فقد جاءت ، في الترجمة السبعينية عدة مرات ، للدلالة على طبائع الكائنات وما فيها من خصائص ومصدر تصرفاتها (١). وقد استعملها العهد الجديد بهذا المعنى ايضاً ، واحياناً بمعنى اوسع (روم : ١/٢٦ ؛ ٢/١٤ ؛ ١١/٢٤ ؛ ١ كور : ١١/١٤ ؛ غلاطية : ٢/١٥ ؛ ٤/٨ ؛ افس : ٢/٣ ؛ يعقوب : ٣/٧ ؛ ٢ بطرس ١/٤)

يهدف القديس بطرس اذن ان يكلمنا عن « شركة » حقيقية مع الكائن الالهي ، في اعمق خصائصه . ان هذه الشركة ، يهبها الله لاناس كانوا قبلاً تحت سلطان الفساد والشهوات التي تسيطر على العالم .

ولكن ، لا نحسبن ان الالفاظ التي تستخدمها هذه الرسالة - والتي تنفرد بها في العهد الجديد - هي حديثة ومبتكرة كلها . فقد سبق افلاطون فاعلن بان الانسان يشترك ، بعقله نوعاً ما ، في الالوهية . كما ان هناك فلاسفة يونانيين ورومانيين كانوا قد نشروا افكاراً مشابهة . ثم ان الفيلسوف اليهودي - فيلون - المعاصر للرسل ، كان قد تحدث عن « التقرب من الطبيعة الالهية » مع تشديد خاص ، على ان العقل البشري لايمكنه مواصلة شوطه للوصول الى ذلك ، ما لم يجذبه الله نفسه .

« كيف كانت نفسنا تعقل الله ، لو لم يكن هو نفسه قد وضع فيها « نسمته » ولمسها بقدرته ! ان الفكرة البشرية ، لم يكن في وسعها الشروع في شوطها ، املاً

(١) طالع : حكمة : ٦/٢٠ : « الحكيم يعرف طبائع الحيوان واخلاقه » .
حكمة : ١٣/١ : يفضح الحمقى من طبعهم ...
حكمة : ١٩/٢٠ : يفقد الماء ، عند معاقبة المنافقين ، خصائصه .

منها في بلوغ الطبيعة الالهية ، مالم يكن الله نفسه قد جذبها اليه » .

(فيلون : الرموز في الشرائع : ١ ، ٣٨ ، المادة ١، ٥١)

لقد شددت الرسالة ، بقوة ، على هذه البداهة الالهية ، كما وانه واضح ، ان الشركة في الطبيعة الالهية المقصود هنا . تختلف عن الشركة التى تطرق اليها الفلاسفة الوثنيون . والفيلسوف اليهودي نفسه .

فالمراد هنا ، ليس الاتصال بالالوهية ، الذي هو على الصعيد الطبيعي في متناول كل كائن يتمتع بالعقل ، بل اشتراك حقيقي في حياة الله نفسها ، التي تجري فينا بواسطة ابنه الحبيب .

الخبرة الرسولية

لقد أظهر لنا القديسان يعقوب وبطرس ، مثل القديس بولس ، أي تغيير عميق ينوي الله القيام به في افئدة الذين يرضون بالانقياد لارادته .

لا شك ، انهما لم يتحدثا عن « الخليقة الجديدة » بل عن « الميلاد الجديد » الذي يستمد اصله العريق من تصميم الله الرحوم . انه صنع قدرةالله الرفيعة ، الذي أقام يسوع من بين الاموات والذي يعمل بكلمته وروحه في الذين يستسلمون له بالايمان والمعمودية .

لا ريب ان جميع المعجزات والعجائب التي قام بها الروح نهار العنصرة

والتي لا يزال يحققها حيثما تبث البشرى السارة ، هي حاضرة في فكر الرسول ، عند إلقائهم هذا التعليم .

لقد كانوا قبل العنصرة رجالاً جبناء ، وها هم الآن شهود للمسيح ، ممتلئون شجاعة واقداماً . ان القوة التي حلت عليهم من العلاء غمرتهم ورسختهم وحولتهم تماماً .

فمنذ العنصرة اخذ المستمعون الى كلام الحياة يحسون « بانصداع قلوبهم » (أع : ٢ / ٣٧) . وهوذا الرسل يجيبون الى اولئك الذين يسألونهم : « ماذا علينا ان نصنع ، أيها الرجال الاخوة ؟ » :

«توبوا ، وليعتمد كل واحد منكم باسم يسوع المسيح لمغفرة خطاياكم، فتنالوا موهبة الروح القدس.»

(اع : ٢ / ٣٨)

ثم يقاطع المهتدون حالاً « الجيل المعوج » جيل الذين لم تمسهم النعمة بعد ، ويسلكون مسلكاً يتنافى وتصرفهم السابق ، ويلقي الحيرة والهيبة الدينية في المحيطين بهم [١] .

ولم يكن هذا التغيير خاصاً باليهود . فان جميع الشعوب سيشتركون فيه ، وذلك بقبولهم حكمة الحياة ، وحلول الروح القدس عليهم [٢] .

(١) طالع : أع ٢ / ٣٩ ـ ٤٧ ؛ ٤ / ٣٢ ـ ٣٥ ؛ ٥ / ١٢ ـ ١٦ .
(٢) طالع : أع ١٠ / ٤٤ ـ ٤٨ ؛ ١١ / ١٥ ـ ١٨ ، ١٥ / ٨ ـ ١١ .

سنجد مصدر هـــذا التعليم المشترك ، الذي نشره القديسون بولس ويعقوب وبطرس ، في الكرازة التي نادى بهـا المسيح نفسه خلال حياته الارضية . ولكن قبل النظر في مخلفات يوحنا الرســول ، لنلق نظـــرة على الاناجيل الازائيـــة : متى ومرقس ولوقا .

— ٢ —

الاناجيل الازائية

= تعليم يسوع حول تغيير البشر الداخلي =

اعلن يوحنا المعمدان قبل ان يفتتح يسوع حياته العلنية ، بان مهمته هي تسوية السبيل أمام شخص أعظم منه يعمد بالروح القدس:

« انا عمدتكم بالماء ، أمّا هو فيعمدكم بالروح القدس » .

(مر : ١/٨ ؛ انظر : متى: ٣/١١ ؛ لو : ٣/١٦)

ان لم يكن ثمة ما يحدد بعد بصورة واضحة ، ماهية مفاعيل هذا العماد ، فكلام يوحنا يدل على انها ستختلف عن مفاعيل عماده . « ان الله القادر ان يقيم أولاداً لابراهيم من هذه الحجارة الملقاة على ضفاف الاردن » هو علة هذه المفاعيل (متى : ٣/٩ ؛ لو : ٣/٨) . سنرى ما كان وقع ذكرى الروح هنا على اذهان السامعين الذين كانوا يحيطون علماً بتعاليم الانبياء والمزامير .

تحت تأثير الروح ...

ان يسوع نفسه الذي عاش تحت تأثير الروح وقيادته ، يحدث تلاميذه عن المفاعيل التي سيحققها فيهم هذا الروح ، ابان المحن والاضطهادات، التي عليهم ان يشهدوا له فيها بصورة رسمية وجهورية .

« ومتى قادوكم الى المجامع ، والحكام واولي السلطان فلا تهتموا لطريقة الدفاع عن انفسكم ، ولا لما تقولون ، فان الروح القدس يعلمكم في تلك الساعة ، ما ينبغي ان تقولوا » .

(لو : ١١/١٢ ـ ١٢) (١)

ونقرأ ايضاً في انجيل متى ما يلي :

« ... فانكم لستم انتم المتكلمين ، بل روح ابيكم هو المتكلم فيكم » .

(متى : ٢٠/١٠ ؛ راجع : مرقس : ١١/١٣)

تحوي هذه الاقوال كل تعليم الرسول بولس حول انعاش الروح ، وعظمة أولاد الله ، التي هي حصة اولئك الذين سيرشدهم الروح ، طبقاً للنبوات القديمة . ويظهر سفر الاعمال في مواضع عديدة تحقيق هذا الوعد المبرم للرسل (٢) .

---

(١) طالع يو : ٢٦/١٥ ـ ٢٧ (١٧/١٤ ، ٢٦/١٤) .

(٢) طالع (أع : ٥/٤ ـ ٨ ، ٨/٦ ـ ١٠)

ابناء الآب السماوي

لقد لاحظنا ان المسيح يسمي الروح في انجيل متى : « روح ابيكم » . وثمة نصوص عديدة تعلن ان تلميذ المسيح ، مدعو ليصير « ابناً لله » بنوع خاص .

وسيدعى اولئك الذين سيجدون في توطيد السلام على مثال يسوع « ابناء الله » (متى : ٩/٥) :

« هكذا ، فليضىء نوركم قدام الناس ليروا اعمالكم الصالحة ، ويمجدوا اباكم الذي في السماوات » .

(متى : ١٦/٥)

« احبوا اعداءكم ... لكي تكونوا ابناء ابيكم الذي في السماوات » .

(متى : ٤٤/٥ ؛ لو : ٣٥/٦)

« كونوا كاملين كما ان اباكم السماوي هو كامل »

(متى : ٤٨/٥)

« كونوا رحماء كما ان اباكم رحيم »

(لو : ٣٦/٦)

« فان اباكم يعلم عما تحتاجون اليه .. »

(متى : ٨/٦ ؛ طالع : ٣٢/٦ ؛ ١١/٧ ؛ لو : ٣٠/١٢)

« فهكذا لا يراد ، عند ابيكم الذي في السماوات ان يهلك احد من هؤلاء الصغار » .

(متى : ١٤/٨)

« لكي تكون صدقتك في الخفية ، وابوك الذي يرى في الخفية يجازيك عنها »

(متى : ٤/٦)

« صل الى ابيك في الخفية ، وابوك الذي يرى في الخفية هو يجازيك »

(متى : ٦/٦)

« لكي لا تظهر للناس صائماً ، بل لابيك الذي في الخفيـة ، وابوك الذي في الخفية ... »

(متى : ١٨/٦)

« ... لا يسقط واحد منهما على الارض بدون اذن ابيكم ! »

(متى : ٢٩/١٠)

« ... لكي يغفر لكم ايضا ابوكم الذي في السماوات زلاتكم. »

(مر : ٢٥/١١ ؛ طالع : متى : ١٢/٦ـ١٥)

« لا تخف ايها القطيع الصغير ، لانه قد حسن لدى ابيكم ان يعطيكم الملكوت»

(لو : ٣٢/١٢)

أضف الى ذلك ، فاتحة الصلاة الربانية :

« ابانا الذي في السماوات ، ليتقدس اسمك ... »

(متى : ٩/٦)

أو حسب القديس لوقا :

« أذا صليتم فقولوا : ايها الاب ليتقدس اسمك ... »

(لو : ٢/١١)

لقد سبق العهد القديم (١) ، فاعتبر الله اباً واسرائيل « ابنه البكر » (٢) وكثيرة هي الادعية والصلوات الموجهة الى الله كأب . (٣)

بيد ان الحاح يسوع في القول لتلاميذه (٤) « ابوكم » ، او «ابوكم السماوي» وفي الموقف البنوي الذي كان يوصيهم بان يتحلوا به حين الكلام عن ابيه ، بليغ ومبين .

ثم ان لفظة : « ابوكم » جديرة بالمقابلة بالكلمة التي يستعملها المسيح لنفسه

(١) طالع : تثنية : ٦/٣٢ ، ارميا : ٩/٣١ ، اشعيا : ١٦/٦٣ ، ٧/٦٤ ، ملا : ٦/١ ، ٢/ ١٠ ، حكمة : ١٦/٢ . ٣/١٤ ، ابن سيراخ : ١/٣٢-٤ .

(٢) خروج : ٢٢/٤ ، ارميا : ٩/٣١ ، ابن سيراخ : ١٤/٣٦ (١١/٣٦)

(٣) اليك الصلاة التي تتلوها العائلة حين الاحتفال بالفصح: « مبارك انت يا الهنا الازلي ، ملك الكون ، الضابط الكل ، ياالهنا الشديد البائس وابانا ، ملكنا وحامينا ، خالقنا ومنقذنا ، مبدعنا وقدوسنا ، قدوس اسرائيل وراعينا ... »

(٤) طالع : متى : ١٥/٦ ، مر : ٢٥/١١-٢٦ ، متى : ٤٣/١٣ ، ٩/٢٣ .

اذ يقول : « ابي » [١]

وحينما يعلمنا يسوع ان نصلي يدعونا الى استعمال كلمة « الاب » التي استعملها هو نفسه [٢]

اذاً ، لقد ألمح المسيح الى كوننا ابناء الله بنوع خاص . وستتيح شهادة الروح للرسل ، الوعي الكامل لقيمة هذه الالفاظ التي استعملها يسوع [٣]

زرع الحياة

لقد اسهب الرسل في تبيان مهمة الكلمة في تغيير المؤمنين . فقد مثلها بطرس بالزرع . اما متى ومرقس ولوقا ، شهود تعليم يسوع ، فانهم يظهرون معلمهم يشبه نفسه بالزرع [٤] ، ويعلن بان كلمة الله هي الزرع الذي يأتي بثمار متباينة في السامعين . فاننا نقرأ في انجيل لوقا ان :

« الزرع هو كلمة الله »

(لو : ١١/٨)

---

(١) متى : ٢١/٧ ، ١٠/٣٢-٣٣ ، مر : ٣٨/٨ ، متى : ٢٧/١١ ، ٥٠/١٢ ، ١٣/١٥ ، ١٧/١٦ ، ٢٧/١٦ ، ١٠/١٨ ، ١٩/١٨ ، ٣٥/١٨ ، ٣٣/٢٠ ، ٣٤/٢٥ ، ٢٩/٢٦ ، ٣٦/ ٥٣ ، لو : ٤٩/٢ ، ٢٩/٢٢ ، ٤٩/٢٤ .

(٢) متى : ٢٥/١١ ، ٢٦ ، لو : ١٠/٢١-٢٢ ، متى : ٣٩/٢٦ ، ٤٢/٢٦ ، مر : ٣٦/١٤

(٣) روم : ١٥/٨ ، غلاطية : ٦/٤ ، ١ يو : ٢٤/٣ ، ١٣/٤ .

(٤) طالع لو : ٨/٤-١٥ ، مر : ٤/١-٢٠ ، متى : ١٣/٣-٢٣ .

وفي انجيل مرقس مثل قصير يثير الاعجاب امام الكلمة التي ، بعد زرعها ، تنمو وتعطي ثماراً من تلقاء ذاتها بالقوة الكامنةفيها .

بيد ان الظروف المتباينة التي تلاقيها حين نشوئها ، تؤثر على نموها وازدهارها

التجديد العام

لقد جاء يسوع ليجري تجديداً شاملاً في القيم الدينية والانسانية . انه لم يندب الناس الى اضافة ممارسات نافلة الى ديانة بالية وعتيقة .

« ما من احد يجعل رقعة من نسيج جديد في ثوب عتيق ؛ لان الرقعة تأخذ ملأها من الثوب ، فيصير الخرق اسوأ . ولا تجعل خمر جديدة في زقاق عتيقة ، والا فتنشق الزقاق ، فتراق الخمر وتتلف الزقاق . بل تجعل الخمر الجديـــدة في زقـاق جديدة ، فتحفظ جميعاً . »

(متى : ٩/١٦ـ١٧) (١)

وقد يفتح النصان التاليان ، اللذان يذكراننا بما كتبه بولس عن الثمار المحمولة قبل تغيير القلب وبعده ، نافذة على ضرورة التجديد الباطني .

« اجعلوا الشجرة جيدة ، فتكون ثمرتها جيـدة ... يانسل الافاعي ، كيف تستطيعون ان تنطقوا بالصالحات وانتم اشرار ؟ »

(متى : ١٢/٣٣ـ٣٤) (٢)

---

(١) طالع لو : ٥/٣٧ ـ ٣٩ ; مر : ٢/٢١ ـ ٢٥ .

(٢) هناك اقـــوال مماثلة أيضاً في (متى : ٧/١٥ ـ ٢٠) قابل بينها وبين ما يقوله القديس يعقوب (٣/١٢) .

« فلا يجنى عن الشوك تين ولا يقطف عن العليق عنب »

(لوقا : ٦/٤٤)

« ... فتصيروا كالاولاد »

ليس في الاناجيل الازائية تعليم صريح يدور حول الميلاد الجديد . انما فيها يدعو يسوع تلاميذه الى ان يرجعوا فيصيروا كالاولاد ، ويلح في ضرورة العودة الى الطفولة للدخول الى ملكوت السماوات [١] .

« الحق الحق اقول لكم ، ان لم ترجعو فتصيروا كالاولاد فلن تدخلوا ملكوت السماوات »

(متى : ١٨/٣)

الكفران بالذات

اخيراً يضع يسوع اساس تعليم بولس المتعلق بالموت عن الذات وعن الحياة الجسدية كلها ، اذ يجعل الكفران الكلي بذواتنا شرطاً جوهرياً للخلاص وللوصول الى الحياة الابدية ، وقد ردد القديس بطرس ايضاً صدى هـذا التعليم . واننا نقرأ في انجيل القديس لوقا :

---

(١) طالع لو : ١٨/١٥ ـ ١٧ ؛ مر : ١٠/١٣ ـ ١٥ ؛ متى : ١٩/١٣ راجع الحوار مع نيقودمس(يو : ٣/٣ ـ ٥) .

« من اراد ان يتبعني فلينكر نفسه ... فان من اراد ان يخلص نفسه يهلكها ؛ واما من اهلك نفسه من أجلي فانه يخلصها » .

(لو : ٢٣/٩ ... ٢٤) (١)

أيكون هذا مجرد نداء الى الاعتصام بالجلد والشجاعة حتى الاستشهاد ؟ قد يبدو لنا ذلك في اول وهلة . بيد اننا نجد الاقوال نفسها في موضع لا يتحدث إلا عن التجرد الكامل عن الخيرات الارضية ، عن تجرد ضروري مترتب على كل من يريد ان يصبح « تلميذاً » (لو : ٢٥/١٤ـ٢٧) .

فدعوة يسوع الى التجرد اذاً لا تهدف الى الاستعداد للاستشهاد فحسب . بل ايضاً الى فعل تجرد جذري عن جميع الخيرات ، وعن الذات نفسها ، يفرض على المرء منذ دخوله في الحياة المسيحية . وبعد الكفران بالذات ، على التلميذ ان يحمل صليبه طيلة حياته ، على مثال معلمه (٢) .

وجدير بالذكر ان المسيح قد نادى بتعليمه هذا جهراً ، عشية تجليه على جبل طابور ، اي بعد اعلانه الاول لموته . فبينما هو يتحدث مع موسى وايليا عن خروجه القريب « اذا بصوت من السماء يقول : هذا هو ابني الحبيب ، له اسمعوا » . صوت سماوي يدعو بطرس ويعقوب ويوحنا وجميع سامعي الانجيل ، الى قبول تعليم صعب

(١) متى : ٢٤/١٦ ـ ٢٥ ؛ مر : ٣٤/٨ ـ ٣٥ ؛ طالع يو : ٢٥/١٢ ؛ متى ٣٩/١٠ ؛ لو : ٢٥/١٤ .

(٢) طالع لو : ٢٣/٩ ؛ ٢٧/١٤ .

كان سبب شكوك الرسل (متى : ١٦/٢٢) .

ثم ان الانجيل يوحد بين حياة الصليب التي عاشها المسيح ، وحياة الآلام التي يعيشها كل من يريد الحصول على الحياة الحقة [١] .

اخيراً ، ان ما اختبره يسوع حين تجليه ، ليس الا مقدمة المجد الالهي الذي سيناله بعد آلامه ؛ ذلك المجد الذي هو حصة جميع الذين يسلكون طريق التجرد التي شقها الفادي نفسه . لنتذكر كل ما اعلمنا به القديس بولس ، عن تغييرنا ، وتجلينا، وتمجيدنا بالصليب . [٢]

« ستعمدان بمعموديتي »

كل ما سبق يعيننا على كشف النقاب ، في تعليم المسيح ، عن مصادر التعليم الرسولي الخاص بموت المسيحي وقيامته بواسطة العماد .

لا ريب ، ان الازائية لا تشبه عماد الروح بموت وقيامته . ولكن مع ذلك ، فالقديس لوقا ، الذي كتب انجيله لمستمعي بولس الذين يعهدون جيداً التعليم الملقى على الغلاطيين والرومانيين والكولسيين ، يضع في فم المعلم هـذه الاقوال التي تمثل الموت الفدائي بالعماد :

« ان لي معمودية اعتمد بها ، وما اشد تضايقي حتى تتم ! »

(لوقا : ١٢/٥٠)

(١) روم : ٢/١٢ ; ٢ كور : ١٨/٣ ; روم : ١٧/٨ ; ٣٠/٨ .

(٢) روم : ٣/٦ : كول : ١٢/٢ وما يتبع .

وهنـاك عبارة مماثلة وحاسمة ، في انجيل القديس مرقس ، وهي رداً على طلب يعقوب ويوحنا ، للجلوس الواحد عن يمينه والآخر عن يساره في مجده :

« انكما لا تعلمان ما تطلبان . او تستطيعان ان تشربا الكأس التي اشربها انا ؟ وان تعتمدا بالمعمودية التي اعتمد بها انا ؟ فقالا له : نستطيع ! فقال لهما يسوع : الكأس التي اشربها تشربانها ؛ والمعمودية التي اعتمد ، تعتمدان بها ؛ واما الجلوس عن يميني او عن يساري ، فليس لي ان اهبه ، انما هو للذين اعد لهم »

(مر : ١٠/٣٨ـ٤٠)

ان الحصول على المراتب الاولى في الملكوت لهو امتياز خاص . اما مشاركة يسوع عماده ، فتلك ضرورة وضعها الله على كل الذين يرغبون في التمتع في ملكوته ، اي في مشاركته حياته .

لذلك على التلاميذ ان يدعوا جميع البشر بعد تتلمذهم ليسوع الى تبني جميع النعم ، ومقاسمة الخيرات التي تجري من هذا العماد الذي يمنح حياة جديدة لكل من يخلع عنه الانسان القديم . (طالع : متى : ٢٢/١٩ ؛ مر : ١٦/١٦) .

خلاصة القول : لقد حوت الآناجيل الثلاثة الاولى في اسلوبها الموجز وامثالها الحية ، كل النقاط الرئيسية للتعليم المشترك الخاص ببحثنا الموجود في الاسفار الآنفة الذكر . ويمكن القول ان هذا الاسلوب الموجز والغامض احياناً ، الذي فيه اودع هذا التعليم ، لهو برهان على ان هذه الاناجيل ، ان هي الا تسجيل لاقوال

المسيح ، نقلا عن ذاكرة وقلوب سامعيه خلال حياته الارضية . بعكس الانجيل الرابع ، حيث يعرض القديس يوحنا التعليم عينه ، ولكن بعـــد نضوجه في روح « التلميذ الحبيب » وقلبه .

الذي يهلك نفسه يخلصها !

-٣-

شهادة الانجيل الرابع

- المولودون من الماء والروح -

لقد حفظ لنا القديس يوحنا بعض اقوال المعلم التي تسلط الاضواء الكاشفة على قيمة شهادته وطبيعتها :

« واما المحامي ، الروح القدس ، الذي سيرسله الاب باسمي ، فهو الذي يعلمكم كل شيء ويذكركم جميع ما قلت لكم . »

(يو : ١٤/٢٦)

« ولكن ، متى جاء ، هو ، روح الحق ، فانه يرشدكم الى الحقيقة كلها ... » (١)

(يو : ١٦/١٣)

ينعت المفسرون هذا الانجيل « بالروحي » (٢) وذلك للوضوح الذي فيه قد

(١) طالع ايضاً متى : ١٥/١٤ ؛ لو : ٦/٣٩ ؛ اع : ٨/٣١ ؛ (رؤيا : ٧/١٧) .

(٢) يعود هذا النعت الى اقليمس الاسكندري .

عرض الكاتب الملهم تعليم المسيح . فالامور التي لم يدركها التلاميذ « ذوي القلوب الغليظة والعمياء » (١) اثناء حياة معلمهم الارضية ، ها انها تسطع فيه بانوار العنصرة .

اننا نجد في هـذا الانجيل صدى اميناً لاقوال المسيح نفسه . بيد ان هـذا الصدى آت من قلب « التلميذ الحبيب » وبعد مدة طويلة عن مغادرة معلمه لهذا العالم . لذلك فشهادة يوحنا هي عين تعليم المعلم الالهي ، ولكن كما يفهمه في نهاية حياته ، ذلك بعد ان تأمل فيه ملياً تحت قيادة الروح .

ان التعليم الخاص ببحثنا معروض فيه باسلوب جميل جذاب :

ـــ انه يشيد بذكر الدور الهام الذي تقوم به كلمة الله في فعل الميلاد الجديد؛ كما ويذكر ايضاً عمل الروح الذي يفعل في المعمودية .

ـــ ثم اننا نلتقي هنا ايضاً ببحث القيامة التي يتمتع بها المؤمن من الآن روحياً ؛ وبتأكيد شركتنا البنوية في حياة الله نفسها ، تلك الشركة التي نحصل عليها بفضل الروح القدس .

اننا سنتوقف في قراءتنا لهذا الانجيل بنوع خاص عند اربعة مقاطع : بعض نصوص من الفاتحة والحوار مع نيقودمس ، واقوال المسيح المنقولة في الفصل الخامس بعد شفاء مخلع بيزاتا ، واخيراً عند اقوال عديدة نطق بها السيد المسيح خـــلال العشاء الاخير .

---

(١) مر : ١٧/٨ ؛ ١٠/٩ ؛ ١٩/٩ ؛ ٣٢/٩ ؛ ١١/١٦ ؛ ١٤/١٦ ؛ متى : ٨/١٦ـ٩ ؛ ١٧/١٧ ؛ لو : ٤١/٩ ، ٤٥/٩ ، ٣٤/١٨ ، ٢٥/٢٤ ، ٤٥/٢٤ .

ميلاد البنين

- يوحنا : الفصل الاول (الفاتحة) -

تذكر فاتحة الانجيل الرابع ، بنوع مؤثر ، الدور الذي جاءت كلمة الله لتقوم به بين البشر . ولكن بينما كان الرسل الآخرون قد تغنوا فقط بدور كلمة الله الخارجة من افواه الملهمين ، نرى يوحنا يحلق في الفضاء تحليق النسر ، ويعلن بان يسوع هو مصدر هذه الكلمة ، بل هو كلمة الاب . ان لفظة « الكلمة - لوغوس - » تدل في الترجمة السبعينية ، ليس على الكلام الالهي الذي يضعه الرب في افواه ابنائه فحسب بل ايضاً على كلمة الله الخلاقة وشريعته التي هي التعبير الكامل لحكمته التي وعد ان يسكنها يوماً في القلوب (١). ويشبه اخر اسفار العهد القديم ، هذه الحكمة وهذه الكلمة ، بشخص « يهجم بمنزلة مبارز عنيف لنجدة الابرار » (٢) (حكمة : ١٥/١٨) .

لقد رأى يوحنا ، في هذه النصوص ، صورة لمعلمه الذي هو كلمة الاب ، الآتي لنجدة خاصته وخلاصهم .

اجل لقد اتى الكلمة الى خاصته ، حاملاً اليهم الحياة والنور ؛ ولكن :

... « خاصته لم تقبله »

(يو : ١١/١)

---

(١) تثنية : ١٤/٣٠ ، امثال : ٢٢/٨ ... ، ابن سيراخ : ٢٤ ...

(٢) طالع اشعيا : ١٠/٥٥-١١ ، رؤيا : ١١/١٩ (حيث يشبه الرسول الكلمة بالمبارز)

ويبدو ان الانجيل يقصد بلفظة « خاصته » اليهود عموماً .

« اما جميع الذين قبلوه

« فقد آتاهم سلطاناً ان يصيروا ابناء الله »

(يو : ١٢/١)

ـــ لقد حدثتنا الاناجيل الازائية عن قبول الكلمة بالفاظ مشابهة (متى : ١٣/ ٢٠ ؛ مر : ١٦/٤ ...) (١) ويمدح الرسول بولس التسالونيكيين لقبولهم كلمة الله بفرح (١ تسا : ٦/١ ؛ طالع : ١٣/٢) . ودعا الرسول يعقوب ايضاً المؤمنين الى قبول الكلمة القادرة ان تخلص نفوسهم (يعقوب : ٢١/١) . اخيراً قد اظهر بطرس ويعقوب ، كيف ان كلمة الله الحيـة والازلية ، تصير الذين يقبلونها ، ابنـاء الله (١ بطر : ٢٣/١ ؛ يعقوب : ١٨/١) .

لاحظ بدقة جميع الالفاظ التي يستخدمها القديس يوحنا . « اما جميع الذين قبلوه فقد اتاهم سلطاناً ان يصيروا ابناء الله » . هل يقصد الرسول بلفظة سلطاناً ، الحرية التي يتمتع بها الانسان ؟ ان هذه اللفظة توحي فكرة الامكان (٢) وفكرة الحق الذي تخوله سلطة عليا (٣) . هذا ما نقرأه في سفر الرؤيا :

« فطوبى للذين يغسلون حللهم ليكون لهم سلطان على شجرة الحياة ... »

(رؤيا : ١٤/٢٢)

---

(١) راجع ا ع : (١٤/٨ ، حيث يدور الكلام حول قبول السامريين للكلمة)

(٢) طالع : ١ كور : ٣٧/٧ ؛ ٩/٨ ؛ ٤/٩ ... ١٨

(٣) متى : ١/١٠ ؛ ٢٣/٢١ ؛ لو ، ٦/٤ ، يو : ١٩/١٠-١١ ...

لقد أشار القديس بولس في الرسائل الموجهة الى التسالونيكيين والكورنثيين ، الى « حق » الاكل والشرب على نفقة المؤمنين ، الذي تنازل عنه بحرية تامة (٢ تسا : ٩/٣) . لربما يهدف يوحنا الى توجيه افكارنا ، بنوع خاص ، الى الاصل الالهي لهذه الهبة الممنوحة للمؤمنين .

ــ ان هذه الهبة تمكننا من ان « نصير اولاد الله »

« اولاد الله » ، عبارة قد مرت علينا في رسائل الاناء المصطفى . فاليك قوله في رسالته الى الرومانيين :

« فهذا الروح عينه يشهد مع روحنا بأنا اولاد الله »

(روم : ١٦/٨)

كما ويطلق لقب « ابناء الله » على الخلائق الجديدة التي اعادها الله ثانية الى الوجود الروحي . هناك قوله للغلاطيين :

« لأنكم جميعاً ابناء الله بالايمان ... »

(غلاطية : ٢٦/٣)

« فأن جميع الذين يقتادهم روح الله هم ابناء الله »

(روم : ١٤/٨) (١)

اما القديس يوحنا ، فانه يوقف لقب « الابن » على ذلك الذين يدعوه

(١) طالع أيضاً غلاطية : ٦/٤ ـ ٧ ، عبر : ١٠/٢ ، حيث ينسب الرسول لفظة « الابن » الى المؤمنين أيضاً .

ايضاً « الوحيد » (١) وينعت المؤمنين بلقب « الاولاد » .

ان لفظة « الاولاد » تبـــين ان المؤمنين في مرتبة ادنى تجاه ذلك الذي يسميه القديس بولس « اخانا البكر » (٢) (روم : ٢٩/٨) ، وتوحى ايضاً القرابة الحقة الموجودة بين الله والذين يلدهم .

اما الالفاظ التالية من المقدمة (يوحنا : ١٣/١) فهي تتحمل معاني مختلفة . كما وان للتقليد فيها اراء مختلفة . اليك الترجمة العادية التي تتجاوب وجميع نصوص المخطوطات الكبيرة . ان هذا السلطان مخول :

« للذين لم يولدوا من دم
ولا من مشيئة جسد
ولا من مشيئة رجل
بل من الله » (يوحنا : ١٣/١)

هنا قد يريد التلميذ الحبيب اظهار التضاد بين الولادة الجسدية التي هي ثمرة امتزاج دم الابوين ، وولادة المؤمنين الروحية التي هي مبدأ الميلاد الجديد الذي سيتطرق اليه في المستقبل القريب .

(١) تجد لفظة « ابن الله » في النصوص التابعة : يو : ٣٤/١ ، ٤٩/١ ، ١٨/٣ ، ٢٥/٥ ، ٣٦/١٠ ، ٤/١١ ، ٢٧/١١ ، ١٧/ ١ ، ١٩ :١يو : ٤٩/١ ، ٧/١ ، ٣ ، ٨ ، ٢٣/٣ ، ٤ / ١٠ ، ٥/٥ ، ٢ يو : ٣ .

اما لفظة « الوحيد » فتوجد فقط في : يو : ١٤/١ ، ١٨/١ ، ١٦/٣ ـ ١٨ ، ١ يو : ٩/٤ .

(٢) فيما يخص اخوتنا مع المسيح يسوع ، طالع عبر : ١٠/٢ ـ ١٣ .

ولكن ثمة بعض آباء [1] يدعون الى تطبيق هذا النص على ذلك الذي يخولنا السلطان لنصير اولاد الله ، اعني ابن الله نفسه :

« ذلك الذي لم يولد من دم
ولا من مشيئة جسد
ولا من مشيئة رجل
بل من الله » (يوحنا : ١٣/١)

وقد يقابل الانجيلي ولادة المسيحي الروحية بولادة الكلمة المتجسد

« من امتلائه نحن كلنا قد أخذنا ... »

مهما يكن البون الذي يفصلنا عن « الابن الوحيد » ، فان الأولاد يشتركون بواسطته ، في الحياة التي يملكها الله الرحيم والامين .

لقد اعلمنا الرسول بولس في رسالته الى الكولسيين ، ان في المسيح يسوع : « ... يحل كل ملء اللاهوت جسدياً » (كول : ٩/٢) ، واننا في المسيح قد امتلئنا من اللاهوت ، منذ اللحظة التي فيها « بدون عون بشري ، خلعنا عنا الجسد البشري » (كول : ١١/٢) .

والقديس يوحنا يكلمنا ايضاً عن هذا الملء . انه ملك الكلمة الذي هو ملء

---

(١) يستند هذا النص الى حجج القديسين أمثال : يوستينوس وايريناوس وابروسيوس وهيرونيموس . هذا علاوة على ترجمة قديمة باللغة السريانية ونسختين باللغة اللاتينية ، واخرى باللغة القطبية .

« النعمة والحقيقة » ، والذي جاء فضرب خيمته في ربوعنا . لذلك ، فكل من يقبل الكلمة هو مدعو الى الاشتراك في هذا الملء :

« والكلمة صار جسداً
وسكن في ما بيننا ...
الممتلىء نعمة وحقاً ...
... من امتلائه نحن كلنا قد اخذنا
ونعمة فوق نعمة »

(يوحنا : ١/١٤-١٦)

وقد سبق رسول الامم ، فقال في رسالته الى اهل افسس :

« لذلك أحني ركبتي امام الاب ... ليهب لكم ، على حسب غنى مجده ، ان تتأيدوا بقوة روحه في الانسان الباطن . ليحل المسيح بالايمان في قلوبكم ، حتى اذا ما تأصلتم في المحبة وتأسستم عليها ، تستطيعون ... ان تدركوا تلك المحبة ... فتمتلئوا هكذا من كل ملء الله »

(افس : ٣/١٤ ... ١٩)

ان الانجيلي يوحنا لا يسلمنا الا هذا التعليم نفسه ، ولكن باسلوبه الخاص .

اذن ، قد التقينا في فاتحة الانجيل الرابع ، بالتعاليم الخاصة بالميلاد الجديد الذي يتيح للذين يقبلون الكلمة ان يصيروا اولاد الله . ولربما يحثنا الانجيل على ان

نعتبر سر صيرورتنا اولاد الله ، كسر الخلقة الجديدة . فانه ليس من باب الصدفة ان يستهل سفرا الانجيل الرابع والتكوين بالعبارة عينها :

« في البدء ... »

(يوحنا : ١/١ ؛ تكوين : ١/١)

الميلاد الجديد وعماد الماء والروح

(يوحنا ٣)

يدور الكلام في هذا الفصل الثالث حول عماد الروح القدس الذي جاء به يسوع والذي مفعوله لا يمت بصلة الى مفعول مراسيم الغسل التي كان اليهود يمارسونها : انه يتمخض عن « ميلاد جديد » .

لذلك ليس من العرض ان يكون الحوار بين يسوع ونقودمس - حيث بسط هذا التعليم - مسبوقاً باعلان يوحنا المعمدان لعماد الروح القدس الذي سيمنحه يسوع :

« أنا اعمد بالماء ؛ ولكن ، في وسطكم يقوم من لستم تعرفونه ... أنا لم أكن أعرفه ؛ ولكن لكي يظهر لاسرائيل جئت انا اعمد بالماء ... هو الذي يعمد بالروح القدس . »

(يوحنا : ٢٦/١ ... ٣٣)

وليس ايضاً بغير قصد ان يلحق هذا الحوار ذكر جديد للعمادات التي يجريها

يوحنا وتلاميذ يسوع انفسهم ، والجدالات التي اثارت حول التطهير [1] ، بين تبعة يوحنا الساعي (يو : ٣/٢٢-٣٠ ، ٤/١-٤) .

اننا سوف لا نتوقف في هـــذا الحوار ، الا عند ما يمت بصلة الى بحثنا . فيسوع يوجه هذه الكلمات الى نقودمس الذي لا يزال في الظلام [2]

« الحق الحق اقول لك : ليس احد يقدر ان يعاين ملكوت الله ، مالم يولد من فوق »

(يوحنا : ٣/٣)

لقد تعمد الانجيلي استعمال لفظ ذي مدلولين : « من فوق » و « من جديد » . انه يحب المفردات التي تتجاوز المعنى الواحد . كما ويطيب له ان يظهر ازدراء السامعين لمعلمه . لذلك نرى نقودمس يجيب يسوع بلهجة لاتخلو من تهكم :

« كيف يستطيع انسان ان يولد ، اذا ما كان شيخاً ؟ أو يقدر ان يلج بطن امه ثانية ويولد ! »

(يوحنا : ٣/٤)

عندئذ ، يظهر يسوع انه لا يقصد الميلاد الجسدي :

(١) ان لفظة « التطهير » التي نجدها في قصة اعجوبة قانا (يوحنا : ٢/١-١٢) قد تبدو لاول وهلة غير ذات اهمية . ولكن هو الماء المعد لغسول اليهود ، قد حول خمراً مسكرة (٢/٦) ونحن نعلم ان السكر الروحي (يوحنا : ٢/١٠) هو احد مفاعيل فيض الروح القدس . (طالع : أع : ٢/١٣ ؛ افس : ٥/١٨) .

(٢) لقد ذكر الانجيلي ان نقودمس « جاء الى يسوع ليلاً » (٣/٢) . وهذا التوقيت « ليلاً »، ان هو الا ثمرة قصد وتعمد .

« الحق الحق اقول لك : ليس احد يقدر ان يدخل ملكوت السماوات ، ما لم يولد من الماء والروح »

(يوحنا : ٥/٣)

انه ميلاد روحي ، ثمرة المعمودية المسيحية التى تتمخض عن كائن روحي . ويواصل يسوع قوله :

« المولود من الجسد انما هو جسد ، والمولود من الروح انما هو روح »

(يوحنا ٦/٣)

اذن ، لقد كان نقودمس في خطأ مبين حينما أخذ كلام المسيح في معناه الجسدي . هـذا وان الروح يعمل بنوع خفي في الذين يلدهم ، ويسمعهم صوته ويقودهم :

« فلا تعجبن من قولي لك : انه لا بد لكم ان تولدوا من فوق »

(يوحنا : ٧/٣)

ثم يضيف يسوع :

« الروح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها ؛ بيد أنك لا تعرف من اين تأتي ، ولا الى اين تذهب . فهكذا يكون الامر ممن يولد من الروح »
(يوحنا : ٨/٣)

ان يسوع حبيب الآب يملك هذا الروح كاملاً ، كما سيقول لنا القديس يوحنا (يوحنا : ٣٤/٣) لذلك في وسعه ان يعطي الذين يقتربون منه بالايمان ، الحياة الابدية ، منقذاً اياهم من « السخط » (يوحنا : ٣/٣٥ـ٣٦)

القيامة الروحية

يوحنا : الفصل الخامس

لقد شبه شهود التقليد المسيحي الذين ورد ذكرهم ، صيرورة البشر اولاد الله بميلاد جديد وبانبعاث . واننا لنصادف هـذا التشبيه الاخير ، الذي شدد عليه القديس بولس ، في انجيل القديس يوحنا ، وبالاخص في الخطاب التابع لشفاء مخلع بيزاثا .

ان هـذه الاعجوبة المجترحة يوم السبت ليست ، في نظر يسوع ، بشيء بالنسبة الى الاعمال التي في وسعه القيام بها ، والتي سيحققها بصفته ابن الله ، والمقتدي بابيه :

« الحق الحق اقول لكم : ان الابن لا يستطيع ان يعمل شيئاً ، الا ما يرى الاب يعمله ، فما يفعله هذا ، يفعله الابن كذلك . لان الاب يحب الابن ، ويريه جميع ما يفعل ، وسيريه اعمالاً اعظم من هذه فتأخذكم الدهشة . فكما ان الاب ينهض الاموات ويحييهم ، كذلك الابن ايضاً يحيي من يشاء »

(يوحنا : ٥/١٩ـ٢١ ؛ ١٤/٩ـ١١)

ولكن عن اية قيامة يتكلم هذا النص ؟ انه يشير اولاً الى القيامة الروحية المعطاة من الان لمن يسمع كلام يسوع ويثق بالذي ارسله لخلاص البشر ولانقاذهم من الحكم الذي اشتدت وطأته على العالم :

« الحق الحق اقول لكم : ان من يسمع كلامي ويؤمن بالذي ارسلني له الحياة الابدية ؛ ولا يخضع لدينونة ، لكنه قد انتقل من الموت الى الحياة »

(يوحنا : ٥/٢٤) (١)

ان سر هذه القيامة الروحية يعمل فينا من الان وسيتم عمله يوم لانبعاث الاخير :

« الحق الحق اقول لكم : انها تأتي ساعة - وها هي ذي حاضرة - التي يسمع فيها الاموات صوت ابن الله ؛ والذين يسمعون يحيون »

(يوحنا : ٥/٢٥)

وقد يشير هذا النص ايضاً الى القيامة الروحية المقدمة للمؤمنين وحدهم . اما النص التابع فانه يعلن جلياً الانبعاث والدينونة الاخيرة التي تنتظر جميع البشر اما لاسعادهم ، واما للحكم عليهم بالهلاك :

« فلا تدهشوا من هذا ؛ لانها تأتي الساعة التي يسمع فيها جميع من في القبور صوته ، فيخرجون منها : فالذين عملوا الصالحات ينهضون للحياة ، والذين

(١) انك تجد اقوالاً مماثلة في يوحنا : ٦/٤٧ ؛ ٨/٥١ : « ان حفظ احد كلامي ، فلن يرى الموت ابداً » .

عملوا السيئات ينهضون للدينونة »

(يوحنا : ٥/٢٨_٢٩) [1]

لقد علمنا ان المؤمنين وغير المؤمنين هم على طرفي نقيض من حيث المصير في يوم النشر . ولكن الى الآن لم تسلط انوار كهذه على الارتباط بين القيامة الروحية والمصير الذي ينتظر جميع الناس يوم قيامة الاجساد .

يمكننا مقابلة النص الانف الذكر باقوال لغزية نجدها في الرؤيا :

« فسعيد ومقدس من له نصيب في القيامة الاولى ! فان هؤلاء لايكون عليهم للموت الثاني سلطان ... »

(رؤيا : ٢٠/٦)

لا شك ، ان هذه الجملة في سفر الرؤيا تشير اولاً الى « عمادالدم » [2]. ولكن قد تشير ايضاً الى قيامة العماد التي تصيرنا سعداء ومقدسين لايهابون « الموت الثاني » الذي تشبهه الرؤيا « ببحيرة النار والكبريت ، فيها يطرح الجبناء والكفرة والرجسون والقتلة والزناة والسحرة ... »

(رؤيا : ٢٠/١٥ ؛ ٢١/٨)

---

(١) تجد عبارات متشابهة في يوحنا : ٣/١٤_٢٠ . طالع ايضاً القديس بولس (٢ كور : ٥/١٠)

(٢) لان الكلام يدور حول الذين قتلوا من اجل الشهادة ليسوع (رؤيا : ٢٠/٤)

الدخول فى الحياة الابدية

انما نجد هذا التعليم الذي يؤكد الاجتياز النهائي الى الحياة - وقد تحقق هذا الاجتياز من الان على الصعيد الروحي - في مواضع اخرى في الانجيل الرابع : منها مثل القطيع والراعي الصالح (١) :

« ان خرافي تسمع صوتي ؛ انا اعرفها وهي تتبعني وانا أوتيها حياة ابدية فلا تهلك الى الابد ، ولا يخطفها احد من يدي »

(يوحنا : ١٠/٢٧-٢٨)

ثم ان الاقوال التي وجهها يسوع الى مرتا ، قبل إحياء لعازر اخيها ، تعلن ايضاً هذا التعليم عينه :

« انا القيامة والحياة من آمن بي ، وان مات فسيحيا ؛ وكل من كان حياً وآمن بي ، فلن يموت ابداً . أتومنين بهذا ؟ »

(يوحنا : ١١/٢٥-٢٦)

ويجترح يسوع اعجوبة من شأنها ان تبين انه قادر أن يقيم الموتى ويحييهم ، قبل ان تدق ساعة الحشر والنشر .

(يوحنا ١١/٢٤)

---

(١) كان في وسعنا ايضاً سرد (٤٧/٦ ؛ ٥١/٨)
طالع ايضاً الخطاب حول خبز الحياة (يوحنا : ٦) : حيث يلمح ، عدة مرات ، الى هذا العبور النهائي الى الحياة ، عبور قد تم من الان ، وهو عربون قيامتنا العتيدة السعيدة .

حياتنا « فى المسيح »

لقد سمعنا دفعات عديدة القديس يوحنا يقول ان يسوع يعطي لخاصته « الحياة الابدية » (١) وعرفنا ان هذه « الحياة الابدية » ليست امتداداً غير محدود للحياة البشرية ، بل هي - وقد اشارت الى ذلك مقدمة الانجيل - اشتراك في حياة الابن الوحيد .

سيسلط بعض من اقوال الخطاب التابع للعشاء السري اضواء على هذه النقطة .

ان هذه الحياة الابدية هي شركة في حياة يسوع الذي بواسطته نشترك في الحياة الالهية نفسها . انها ، بفضل روح الله ، اشتراك في حياة المعرفة والحب المتبادل بين الآب والابن .

— اشتراك في حياة يسوع : هذا مايشبته ويبينه مثل الكرمة . يوجد بين يسوع وبيننا نفس الاتحاد والحياة بين الكرمة واغصانها . والاب نفسه هو الذي يعتني بهذه الجفنة :

« انا الكرمة الحقة وأبي الكرام ...
انا الكرمة وانتم الأغصان . »

(يوحنا : ١/١٥ ... ٥)

« كل غصن في لايثمر ينتزعه ، وكل غصن يثمر ينقيه لكي يأني بثمر اكثر ...

(١) طالع يو : ١٥/٣-١٦ ؛ ٣٦/٣ ؛ ١٤/٤ ؛ ٣٦/٤ ؛ ٢٤/٥ ؛ ٣٩/٥ ؛ ٢٧/٦ ...

بهذا يتمجد أبي وتكونون تلاميذي ، اذا اتيتم بثمر كثير »

(يوحنا : ١٥/٢/ ... ٨) (١)

سبق الرسول فحدثنا عن الثمار التي تأتي بها الخلائق الجدد لمجد الاب (٢) . ان هذه الثمار سينتجها « اولاد الله » ، على قدر تعلقهم واتحادهم بيسوع ، اي على قدر « ثبوت الواحد في الاخر » :

« اثبتوا في وانا فيكم . كما ان الغصن لايستطيع من نفسة ان يأتي بثمر ، ان هو لم يثبت في الكرمة . كذلك انتم ايضاً ان لم تثبتوا في ... »

« من يثبت في وانا فيه ، فهو يأتي بثمر كثير . فانكم بدوني لا تستطيعون ان تفعلوا شيئاً»

(يوحنا : ١٥/٤ـ٥)

ثم يعود الرسول نفسه فيؤكد ثانية وباسلوب استعاري ، وحدة حياة التلاميذ مع معلمهم . ان الثمار التي سيأتي بها اولئك الذين يؤمنون به ، أي اولئك الذين اشتركوا في قيامته وحياته ، ان هي الا اعمال الحب الاخوي . (يوحنا : ١٥/ ١٧) (٣) ؛ انها اعمال اعظم من الاعمال التي انجزها المعلم نفسه خلال حياته الارضية .

---

(١) لقد تكلم الانبياء ، لاسيما اشعيا عن كرمة الرب (اشع : ٢٧/٢ـ٥ ؛ طالع ايضاً : ٥/١ ، ارميا : ٢/٢١ ؛ حزقيال : ١٥/١ـ١٨ ؛ ١٧/٦ـ١٢ ؛ ١٩/١٠ـ١٤ ؛ حز : ٨٠/٩ـ١٤) . ان صورة الجسد والاعضاء (١ كور : ٦/١٥ ؛ ١٢/٢٧ ؛ افس : ٥/٣٠ ...) تطابق مثل الكرمة وتوافقه .

(٢) روم : ٧/٤ .

٣) طالع يو : ١٣/٣٤ .

« الحق الحق اقول لكم : ان من يؤمن بي يعمل هو ايضاً الاعمال التي اعملها ، بل يعمل اعظم منها ، لاني ماض الى الاب ، ومهما سألتم باسمي فانا افعله لكي يتمجد الاب في الابن ... »

(يوحنا : ١٤/١٢ـ١٣)

ان اعمـال يسوع كانت خاضعة للآب (يو : ٥/١٩ ؛ ٨/٢٨ ؛ ١٤/١٠ ؛ طالع : ٦/٥٧). لذلك على المؤمنين ايضاً ان يتقيدوا بهذا الخضوع البنوي الذي يجد صورته الحية في الصلاة . وعلى قدر هـذا الخضوع البنوي ، تكون حياتهم مثمرة (يوحنا : ١٥/٧) ومشبعة بالفرح والسلام ، وان اضطهدهم العالم (يو : ١٥/١١) .

ــ قلنا اعلاه ان الحياة الابدية التي يعيشها المولودون من جديد ، والمنبعثون هي ، بفضل يسوع ، شركة في حياة الله عينها . ها هو ذا يسوع يشدد على ذلك في خطابه بعد عشاء الوداع :

« ان احبني احد يحفظ كلمتي وابي يحبه واليه نأتي ، وعنده نجعل مقامنا »

(يو : ١٤/٢٣ ؛ ١٦/ ٢٧)

«ولست اقول لكم اني اسأل الاب لاجلكم ، فان الاب يحبكم لانكم احببتموني . . . »

(يو : ١٦/٢٦ـ٢٧)

والروح ايضاً يقيم في افئدة المؤمنين : « لانه يقيم معكم ويكون فيكم »

(يو : ١٤/١٧) ، رغبة منه في مساعدتهم وعضدهم في حياتهم كشهود (يو : ١٥/٢٦) ، وانارتهم فيما يخص الخفايا الالهية (يوحنا : ١٤/٢٦ ؛ ١٦/١٣-١٤) وهكذا ، في وسع المؤمنين « المولودين ثانية » الاشتراك في الحياة الابدية المرتكزة ، حسب قول يسوع على :

« ان يعرفوك (الاب) أنت الاله الحقيقي الوحيد ، والذي ارسلته يسوع المسيح » .

(يوحنا : ١٧/٣ ؛ طالع : ١ يو : ٥/١)

لهذا الغرض قد سلم اليهم كلمته التي هي كلمة الآب (يو : ١٧/١٤) ؛ لذلك يعطيهم ايضاً خلال الاجيال المجد الذي اعطاه اياه الاب منذ الازل . وهكذا يشترك المجتمع معاً في وحدة الله :

« لقد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني لكي يكونوا واحداً كما نحن واحد : انا فيهم وأنت في ، لكي يكونوا مكملين في الوحدة » .

(يو : ١٧/٢٢ .. ؛ طالع : ١٧/١٣ ؛ ١٤/٢٠)

ثم ينهي يسوع صلاته :

« لقد عرفتهم اسمك ، وسأعرفهم ايضاً ، لتكون فيهم المحبة التي احببتني ، واكون انا فيهم »

(يو : ١٧/٢٦)

ها قــد اوقفنا يسوع ، بقدر ما تستطيعه لغة بشرية ، على ماهية الحياة الالهية ، حصة اولئك الذين قبلوا نعمة الميلاد الثاني والانبعاث الروحي .

هذا هو ميراث اولاد الله ، ميراث من سماهم يسوع « اخوته » صباح احد القيامة ، حينما اوعز الى المجدلية ان تحمل اليهم بشرى قيامته السعيدة :

« امضي الى اخوتي وقولي لهم : اني صاعد الى ابي وابيكم ، الى الهي والهكم » .

(يو : ١٧/٢٠)

ان ما أعلمنا به الرسول الحبيب ، يتناسق والتعليم المشترك الذي عهدناه تناسقاً رائعاً . فالتعليم الذي تسلمه من سيده والذي بفضل نور الروح قد سبر غوره ووقف على قيمته ، سيودعه الى تلاميذه باسمه الخاص . لذلك فلنقرأ الآن رسالته الاولى (١) .

---

(١) لن نتوقف هنا الى على الرسالة الاولى ، لانها وحدها تخص بحثنا مباشرة . اما الثانية والثالثة ، فهما بطاقتان وجيزتان . والفكرة الوحيدة التي يمكن وجودها فيهما والتي لها صلة ببحثنا هي : ان أولاد الله هم في الوقت عينه اولاد الرسل وأولاد الكنيسة التي يطلق عليها الرسول الحبيب اسم « السيدة » .

— ٤ —

رسالة القديس يوحنا الاولى

ـ سمة الاولاد ـ

ان الحياة الأبدية ـ ثمرة الميلاد الثاني ـ عطية الهية لاحد لقيمتها . ولكن ما العمل لنكون على من يقين امتلاكها ؟ وما العمل لكي لانخدع نفسنا ، اذ نفتخر بكوننا في « شركة مع الاب » واننا « مولودون من الله » بينما الواقع ينفي ذلك ؟

في هـــذه الرسالة الاولى يحذر القديس يوحنا اولئك الذين لازال يعتبرهم اولاده الصغار من الغرور والانخداع . ثم يظهر لهم الشروط التي بوسعها ان تريح قلوبهم مؤكدة لهم انهم « حاصلون على الحيـاة الابدية » و « عارفون الله » وعائشون في « الوحدة معه » وثابتون فيه .

هذه الشروط ، يمكن اختصارها في النقطتين التاليتين :

— السلوك في النور : ١/٥ ـ ٢/٢٨

— السلوك في البر ، تحت قيادة الروح : ٢/٢٩ — ١٢/٥

على غرار بولس ويعقوب :

اننـا نجـــد تحذيرات مشابهة في رسـائل القديسين بولس ويعقوب . اليك ما يقوله رسول الامم للكورنثيين :

« امتحنوا انفسكم لتروا هل انتم على الايمان ... »

(٢ كور : ٥/١٣ ؛ طالع ١ كور : ١٨/٣ ؛ ٩/٦ ؛ ١٢/١٠)

ويقول للغلاطيـين :

« ان ظن احد انه شيء ، وهو ليس بشيء فقد غر نفسه »

(غلاطية : ٣/٦ ؛ طالع : غلاطية : ٧/٦ ؛ افس : ٦/٥ ؛ ١٧/٥)

ويحذر القديس يعقوب الاسباط الاثني عشر الذين في الشتات قائلاً لهم : « كونوا عاملين بهذه الكلمة لا سامعين لها فتغروا انفسكم ... ان ظن احد انه دين وهو لا يلجم لسانه بل يغر قلبه ، فذلك ديانته باطلة »

(يعقوب : ٢٢/١ ... ٢٦ ؛ طالع ١٤/٣ ؛ ١٨/٢)

ان رسالة يوحنا الاولى تزخر بعبارات مماثلة ، علاوة على كونها مرفوقة بايضاحات تعليمية ثمينة . انه يستنتج نتائج عديدة ومهمة من التعليم الذي تسلمه من الرب حول الميلاد الثاني والاجتياز الى الحياة الابدية .

« لتكن لكم شركة معنا »

يستهل التلميذ الحبيب رسالته بذكر ظهور

« ... الحياة الابدية التي كانت لدى الاب وتجلت لنا ... »

(١ يو : ١/٢)

بفضل كلمة الحياة .

ان هـذه الحياة الكائنةمن البدء وقبل كل الدهور ، قد سمعناها ورأيناها باعيننا ، ولمسناها بأيدينا :

« ان ما رأيناه وسمعناه به نبشركم انتم أيضاً ، لتكون لكم أنتم أيضاً شركة معنا . وشركتنا نحن ، انما هي مع الاب ومع يسوع المسيح ابنه . ونكتب اليكم بهذه الامور ليكون فرضاً مكملاً » .

(١ يو : ١ / ٣ ـ ٤)

بيد ان هذا الفرح الذي وعد به يسوع [1] لا يكمل الا اذا اشترك الاولاد فعلاً في هذه الحياة .

(١) يو : ١١/١٥ : ١٣/١٧ ؛ طالع أيضاً : ٢٠/١٦ ـ ٢٤ .

الحياة في النور :

لقد سبق وقال عن نفسه : « انا نور العالم » (١) ثم نسب هذا النعت الى خاصته ايضاً : « أنتم نـــور العالم » (٢) اما القديس بولس ، فهو يسمي الخلائـق الجديدة : « ابناء النور » (٣) .

وقد كلمنا القديس يعقوب أيضاً عن « ابي الانوار » (يع : ١/١٥) والمرتل قد صلى الى الله ، في العهد القديم بهذه العبارة :

« الرب نوري وخلاصي » .

(مز : ٢٧/١) (٤)

اما القديس يوحنا ، فهو يضع « السلوك في النور » (٥) شرطاً أولياً به يتمكن

(١) يو : ٨/١٢ ؛ ٩/٥ ؛ ١٢/٤٦ ؛ طالع لو : ١/٧٩ ؛ ٢/٣٢ ؛ يو : ١/٩ ؛ حكمة : ٧ / ٢٦ .

(٢) متى : ٥/١٤ .

(٣) افس : ٥/٨ ؛ ١ تيم : ٥/٥ ؛ طالع فيلبي : ٢/١٤ ـ ١٥ . نجد هــذه العبارة في يو : ١٢/٣٦ ، وفي لو : ١٦/٨ . يتكلم الرسول بولس عن « ثمار النور » أيضاً : افس : ٥/٩ . والقديس بطرس يتطرق الى عبورنا من الظلمة الى نور الله : ١ بطرس : ٢/٩ .

(٤) طالع مز : ٣٦/١٠ ؛ ٤٣/٣ ؛ ٤٤/٤ . يذكر النور في العهد القديم ، حين يدور الكلام حول اله العهد وظهوراته : فالله متشح بالنور (مز : ١٠٤/٢) ومجده يسطع كبهاء الشمس (مز : ١٠/ ٤ ؛ باروخ : ٥/٩) انه يتجلى في وسط النور (٢ صمو : ٢٢/١٣ ؛ مز : ١٨/١٣ ؛ ٧٧/١٩) ، والنار (خرو : ٣/٢ ؛ ٢٤/١٧ ، مز : ٥٠/٣) والبروق (خرو : ١٩/١٦) .

(٥) طالع يو : ١٢/٣٥ ـ ٣٦ .

تلاميذه ان يعرفوا انهم في « شركة » مع الله وانهم « يعرفونه » :

« وهذه هي البشرى التي سمعناها منه ونبشركم بها : ان الله نور وليس فيه ظلمة البتة . فان نحن قلنا : ان لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة ، فانا نكذب ولا نعمل بالحق . ولكن ان سلكنا في النور ، فلنا شركة لبعضنا مع بعض ودم يسوع ابنه يطهرنا من كل خطيئة » .

(١ يو : ١/٥ ـ ٧)

لا شك علينا الاعتراف بخطايانا ، وعندئذ فقط يطهرنا الله الامين والعادل من كل اثم ويمحو ادراننا :

« ان نحن قلنا : انا بغير خطيئة ، فانما نضل انفسنا وليس الحق فينا . وان اعترفنا بخطايانا ، فالله امين وعادل . فانه يغفر خطايانا ويطهرنا من كل اثم . ان نحن قلنا : انا لم نخطأ ، نجعله كاذباً ، ولا تكون كلمته فينا » .

(١ يو : ١/٨ ـ ١٠)

وقريباً سيصرح الرسول بان المسيحي لا يمكنه ان يخطأ (١ يو : ٣/٦ ـ ٩ ؛ طالع: ٥/١٨) . فهل من غموض في فكرته؟ كلا ، انه يعلم حسناً ، كالقديس بولس، ان في المسيحي عاملين . انه ما دام على هذه الارض فهو تحت تهديد الشيطان . ولذلك عليه الاستسلام للابن الوحيد الذي يقيه من الخطأ ، والذي وحده في وسعه ان يطهره :

« يا اولادي الصغار اني اكتب اليكم بهذا لكي لا تخطأوا . ولكن ان خطىء

احد ، فلنا لدى الاب شفيع ، يسوع المسيح البار . انه هو كفارة عن خطايانا ، لا عن خطايانا فقط بل عن خطايا العالم كله ايضاً » .

(١ يو : ١/٢ ـ ٢)

ثم على من يسكن في النور ، ان يحفظ وصايا الرب ، أي ان يحيا في محبته ومحبة اخوانه :

« فمن قال : « اني اعرفه » ، ولا يحفظ وصاياه فهو كاذب وليس الحق فيه... ومن ادعى انه ثابت فيه لزمه ان يسلك هو أيضاً ، كما سلك ذلك ...

« من قال انه في النور وهو يبغض أخاه ، فهو بعد في الظلمة . من أحب اخاه فهو ثابت في النور ولاعثار فيه » .

(١ يو : ٤/٢ ... ١٠)

غير ان هذا الحب يستثني العالم وما فيه (١ يو : ١٥/٢) .

ثم ان هـــذا النور الذي هـو معرفة الله الحقة . هـو حصة الذين قبلوا « المسحة » (١) ، أي الروح القدس. لذا على اولاد الله الحقيقيين ان يسلكوا تحت امرته ، فتكون لهم الثقة الكاملة ، وليس الخزي والرعب يوم مجيء الرب :

« اما انتم ، فان المسحة التي نلتموهـا منه تثبت فيكم ، ولا حاجة لكم ان يعلمكم احد . ولكن ، بما ان مسحته تعلمكم كل شيء ، وهي حق لا كذب ، فاثبتوا فيه كما علمتكم .

---

(١) هناك نصوص عديدة في العهد الجديد تظهر لنا جلياً ان القديس يوحنا حين يتكلم عن «المسحة» يقصد الروح القدس . طالع أع : ٣٨/١٠ ؛ ٢ كور : ٢١/١ ، ٢٢ .

« اجل اثبتوا الآن فيه ، ايها الاولاد الصغار ، حتى اذا ما ظهر تكون لنا الثقة الكاملة ، لا الخزي بالانفصال عنه عند مجيئه » .

(١ يو : ٢/٢٧ ـ ٢٨)

لقد بين الرسول الى الآن ما العلامات الدالة على اننا نعيش في نور الله .

الحياة في « البر »

اما الشرط الثاني الذي يتيح لنا التأكد من اتحادنا الحقيقي بالرب ، فهو العيش في « البر » اي القداسة . آنئذ نعلم جيداً اننا قد « ولدنا في الله » حقاً . اجل ـ كما يقول الرسول ـ :

« اذا ما علمتم انه بار ، فاعلموا أيضاً ان كل من يعمل البر مولود فيه » .

(١ يو : ٢/٢٩)

ان لقب« اولاد الله » الحاوي على ملتزمات كهذه ، هو لقبنا من الآن ، وان كنا بعد اولاداً لم ينكشف لهم جلياً شرف بنوتهم الالهية ومجدها . اننا مدينون بهذه النعمة لمحبة الاب اللا محدودة :

« انظروا بأية محبة خصنا الاب حتى ندعى أولاد الله ... أيها الاحباء ، نحن من الآن أولاد الله ولم يتبين بعد ما سنكون . غير انا نعلم انا اذا ما ظهر ، سنكون أمثاله ، لأنا سنعاينه كما هو » .

(١ يو : ٣/١ ـ ٢)

بيد ان هـذا يأتي « المولودين ثانية » بمقتضيات تضاهي ملتزمات الحيـاة في النور . ومن بين هـــذه المقتضيات ، كد المسيحي المتواصل لكي يحفظ نفسه نقياً ، ويتمسك بذلك الذي لم يوجد فيه اثم ، والذي وحده يمكنه محو الاثام . لذلك ، على قدر خطايانا تنقص معرفتنا له ، وتعسر علينا مشاهدته السعيدة :

« فأنتم تعلمون ان ذاك قد ظهر ليرفع الخطايا ، ولا خطيئة فيه البتة . كل من يثبت فيه لا يخطأ البتة . كل من يخطأ لم يره ولم يعرفه .

« يا أولادي الصغار ، لا يضلكم احد : من يعمل البر فهو بار كما ان ذلك بار ... كل من هو مولود من الله لا يفعل الخطيئة ، لان زرع الله حال فيه ولا يستطيع ان يخطأ ، لأنه مولود من الله » .

(١ يو : ٥/٣ ... ٩ ؛ طالع : ٣/٥ ـ ٤ ؛ ١٨/٥ ـ ٢٠)

ان ممارسة البر التي لا يمكن فصلها عن صفة ابن الله ، تطلب أخيراً ، العيش في المحبة ، وان كنا عرضة لبغض العالم :

« بهـذا يظهر اولاد الله واولاد ابليس . كل من لا يفعل البر ليس من الله ، وكذلك ايضاً من لا يحب اخاه ... »

« فنحن نعلم اننا قد انتقلنا من الموت الى الحياة ، لأنا نحب الاخوة . من لا يحب يثبت في الموت ... »

(١ يو : ١٠/٣ ... ١٥)

يلمح الرسـول هنا الى ان « الميلاد الثاني » هو أيضاً قيامة وعبور من الموت

الى الحياة . وسيقول فيما بعد :

« ... وكل من يحب فهو مولود من الله ... فمن ثبت في المحبة ، ثبت في الله ، وثبت الله فيه » .

(١ يو : ٧/٤ ... ١٦)

ويوجهنا هذا الحب إلى الله المحب الاول (١ يو : ١٩/٤) ويقودنا حتماً الى اخوتنا أيضاً (١ يو : ٢٠/٤ ـ ٢١) . لأن المؤمن ـ المولود من الله ـ ان ادعى بأنه يحب الله بدون محبة اخوته ، ليس الا كاذباً :

« كل من يؤمن ان يسوع هو المسيح ، فهو مولود من الله ، وكل من يحب الوالد يحب المولود منه » .

(١ يو : ١/٥)

ثم ينبغي لمحبة اولاد الله ان تتشبه بمحبة المسيح وان تتجسم في الواقع اليومي بالسخاء الفعلي والحقيقي والا فتكون مجرد اقوال خداعة :

« ان ذاك قدبذل نفسه لأجلنا ؛ فيجب علينا نحن أيضاً ، ان نبذل نفوسنا لأجل الاخـــوة . فمن كانت له خيرات هـذا العالم ورأى أخاه في فاقة فحبس عنه احشاءه . فكيف تثبت فيه محبة الله ؟ » .

(١ يو : ١٦/٣ ـ ١٧) (١)

---

(١) نجد الفكرة عينها في يعقوب : ١٤/٢ ، ١٦.

ان ممارسة المحبة اليومية يمكنها ان تولي قلبنا الثقة ، وان كان شيء من الشك يخامر قلوبنا عن بنوتنا الالهية :

« فبذلك نعرف انا من الحق ونقنع قلبنا امامه ـ اذا ما بكتنا قلبنا ـ بأن الله اعظم من قلبنا ، وعالم بكل شيء » .

(١ يو : ١٩/٣ ـ ٢٠)

والله نفسه يؤكد هذه الشهادة بروحه القدوس الذي يكشف الحب ويضرم نيرانه :

« ونعرف انه ثابت فينا بالروح الذي اعطانا » .

(١ يو : ٢٤/٣ ؛ طالع : ١٣/٤ ؛ ١١/٥ ـ ١٢)

لقد حدد الرسول الحبيب المقاييس الاساسية لمعرفة نحن نملك الحياة الالهية ، وهل نحن أولاد الله . هذه المقاييس هي الهرب من الخطيئه ، والاستسلام التام لله المنقذ ، وتمكين وصيتي المحبة : « تحب الرب الهك .... وتحب قريبك ... » والخضوع الكامل لروح الله الذي يختلف كلياً عن روح العالم .

وقد كلمنا ايضاً عن الله الذي بحبه العظيم اراد فجعلنا اولاداً له وانتشلنا من الموت والظلمات ، واتى بنا الى النور والحياة . ان تعليمه هذا يلتقي بتعليم القديس بولس .

اخيراً يذكرنا ـ كالرسولين بطرس ويعقوب ـ بالسلوك في الطهر والحب

الاخوي . لان هذه هي طريقة المولودين ثانية .

اذن لقد دعانا كل واحد من شـهود التعليم المستلم من يسـوع أو من روحه القدوس الى قبول كلام الله ، واستبدال حياتنا الخاطئة بحياة الرب عينها ، والى الموت عن ذواتنا وتبني نعم عمادنا بأمانة متزايدة .

والآن ختاماً لبحثنا هذا ، نلقي نظرة خاطفة على العهد القديم . لأننا نجد فيه تباشير هذا التعليم الذي هو وليد العهد الجديد . وسنكتفي بسرد بعض اقوال الملهمين الغابرين الذين حسب قول هامة الرسل : « قد فحصوا وبحثوا عن الخلاص ، اذ تنبأوا بالنعمة التي كانت معدة للمؤمنين » (١ بطر : ١/١٠) .

— نحن من الآن أولاد الله —

-٥-

العهـد القديـــم

= تباشـــير ومواعيـــد =

اننا لن نعرض هنا الا بعض نصوص من العهد القديم . وغايتنا من ذلك أن نبين كيف ان الانبياء والمرتلين والحكماء القدماء قد سبقوا فرأوا على نور الروح بعض نقاط من التعليم الذي نادى به يسوع وخاصته .

واكثر هـــذه النصوص تعود الى فـترة الأزمة الكبيرةالتي أدت الى سـقوط الملوكية وذهاب اليهود الى الجلاء أو تلي هـذه الفترة . ولقد ظن الناس بعد سقوط اسرائيل (٧٢١) في زمن اشعيا وحزقيال (٧١٧ ـ ٦٨٦ ق.م.) ان تجديداً للعهد القديم يمكنه ضمان خلاص الامة .

وقـد قام الملك يوشـيا ، بعد مرور مئة ســـنة ، باصلاح جديد ، بلغ ذروته عام ٦٢٢ ، في الوقت الذى فيه اكتشفت في الهيكل ، أول نواة لسفر تثنية الاشتراع .

منعطف كبير

بيد ان الحوادث اطاحت بالامال التي لاحت في هذه الفترة . ففي عام ٦٠٩ خر الملك المصلح صريعاً في ماجدو ، فرجع الشعب حالاً الى تيهه وضلاله . وبعد أعوام قلائل انزلت الجيوش الكلدانية بالامة اليهودية ضربتها الحاسمة .

وهنا ، على ضوء الحوادث السابقة والأخيرة ، بدا العهد القديم المبني على الشريعة وحدها وعلى معرفة الامور الالهية ، عاجزاً عن ضمان حقيقي للخلاص . أنئذ شرع الله بواسطة انبيائه يبشر بعهد جديد خالد.

ومن شأن هذا العهد الجديد والابدي ان يرافقه تحويل جذري للبشر . فالله الكثير المراحم والحب ، يغير افئدتهم وارواحهم . ان ارميا وحزقيال هما الامينان لهذا التعليم ، وعندهما نجد التباشير الاولى لهذا التغيير الجذري الذي ينجزه الله في عباده ، والذي رافق التطهير بالعماد وفيض الروح في العنصرة .

اخفاق العهد القديم

كان الانبياء الى الآن يدعون الانام الى الاقلاع عن الخيانة والالتزام بالامانة نحو ربهم وذلك بممارسة الصلاح والبر . اليك قول اشعيا :

« اياديكم ملآنة دماً . اغتسلوا ، تنقوا ، اعزلوا شر افعالكم من امام عيني ، كفوا عن فعل الشر . تعلموا فعل الخير . اطلبو الحق .. »

(اشعيا : ١٦/١ ـ ١٧)

اما ارميا النبي ، فهو يطلب ـ خلال القسم الاول من رسالته ـ الى سكان اليهودية واورشليم ان يختتنوا قلوبهم :

« اختتنوا للرب وانزعوا غرل قلوبكم يا رجال يهوذا وسكان اورشليم ، لئلا يخرج كنار غيظي فيحرق وليس من يطفىء بسبب شر اعمالكم » .

(ار : ٤/٤ ؛ طالع : ٣/٢٢)

« سيروا في كل الطريق الذي اوصيكم به ليحسن اليكم » .

(ار : ٢٣/٧)

« اسمعوا كلام هذا العهد ... فتكونوا لي شعباً وأنا اكون لكم إلهاً » .

(ار : ٢/١١ .. ٤)

وليس هذا العهد الا العهد القديم . ولكن ارميا يتساءل ان كان ممكناً الاصغاء الى نداءات كهذه :

« ها ان اذنهم غلفاء فلا يقدرون ان يصغوا . ها ان كلمة الرب صارت لهم عاراً ، لا يسرون بها » . (ار : ١٠/٦)

القلب الجديد

او يكون هذا الداء بلا دواء ؟ كلا . ففي الوقت الذي فيه تحاصر الجيوش الكلدانية اورشليم ، يوجه الله رسالة جديدة ويضع المواعيد التالية على شفتي النبي :

« ها أيام تأتي يقول الرب واقطع مع بيت اسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً . ليس كالعهد الذي قطعته مع ابائهم يوم امسكتهم بيدي . . . حين نقضوا عهدي . . .

« اجعل شريعتي في داخلهم واكتبها على قلوبهم ... كلهم سيعرفونني من صغيرهم الى كبيرهم ... لأني اصفح عن اثمهم ولا اذكر خطيئتهم بعد » .

(ار : ٣١/٣١ ... ٣٤)

« واعطيهم قلباً جديداً... ليخافوني كل الايام لخيرهم وخير أولادهم بعدهم. واقطع لهم عهداً أبدياً ... وافرح بهم لاحسن اليهم .. »

(ار : ٣٩/٣٢ ... ٤١ ؛ طالع ٧/٢٤)

لقد بشرنا النبي ارميا بتبديل القلب ، وهبة قلب جديد .

الروح المقيم الموتى ، والماء المطهر

ولكن ما الواسطة التي سيستعين بها الله لانجاز عهده هذا ؟ انه شيرش علينا ماء صافياً ، وسيفيض علينا روحه : هذا ما يقوله النبي حزقيال .

لقد نادى حزقيال كرفيقه السالف ، ولكن لم يسمع له احد (حز : ٢ / ٧ ؛ ٣٠/٣٣ ـ ٣٣) . غير انه ، حينما ساقت المعصية الشعب الى الموت ، بشر بعهد

جديـــد : سيقيم الله شعبه وذلك بسكب روحه على الذين قـــد طهرتهم بوتقة المحن والبلايا :

« كانت يد الرب علي ... يا ابن البشر أتحيا هذه العظام ؟ . . تنبأ على هذه العظام وقل لها : « ايتها العظام اليابسة اسمعي كلمة الرب ... هأنذا ادخل فيكم روحاً فتحيون ... »

« هأنذا افتح قبوركم ... واجعل روحي فيكم فتحيون ... »

(حز : ١/٣٧ ... ١٤ ؛ طالع : يو : ٢١/٥ ـ ٢٦)

وفي موضـع آخر ، يلحق النبي بوعـــد هبة الروح اقوالاً قد تحوي اشـارة الى السماء :

« وارش عليكم ماء طـاهراً فتطهرون ... واعطيكم قلباً جديداً واجعل روحاً جديـــدة في داخلكم . وانزع قلب الحجر من لحمكم واعطيكم قلب لحـم . واجعل روحي في داخلكم . . »

(حز : ٢٥/٣٦ ... ٢٧ ؛ طالع : ١٩/١١ ـ ٢٠)

لا شك ان النبي لا يعرف المدة الطويلة التي تفصل بين العودة من الجلاء والتحقيق الكامل لهذه الاقوال . غـــير ان الله قد سبق فأراه ما سينجزه يوماً ، ليس لخير شعبه فحسب بل لخير البشرية جمعاء .

« قلباً نقياً اخلق في يا الله »

لقد اعتبر احد المرتلين عمل الله الذي اشارت اليه اقــوال حزقيال الآنفة الذكر ، « خلقة » جديدة . لذلك تسمعه يطلب الى العلي لكي يحققها فيه :

« ارحمني يا الله حسب رحمتك . حسب كثرة رأفتك امـح معاصي . اغسلني كثيراً من اثمي ومن خطيئتي طهرني ... هأنذا بالاثم صورت وبالخطيئة حبلت بي امي ... طهرني بالزوفا فأطهر . اغسلني فأبيض اكثر من الثلج ... فتبتهج عظام سحقتها ...

« قلباً نقياً اخلق في يا الله وروحاً مستقيماً جدد في داخلي . لا تطرحني من قـدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه مني . . فأعلم الاثمة طرقك والخطـأة اليك يرجعون » .

(مز : ١/٥١ ... ١٥)

لا ريب ان هــذه العبارة « قلباً نقياً اخلق في » تشير الى ان المرتل يسأل الله ان يكمل فيه عملاً لا يستطيع أي مخلوق القيام به . وهـذا العمل ليس الا الخلق الذي هو خاصة الله ، مبدع الكون ومنقذ خاصته .

لقد تكلم القسم الثاني من سفر اشعيا عن هذا العمل الالهي الخلاق (اشعيا : ٤٠ ـ ٥٥) : ففي آية له يخبر بتحقيق قريب لاقوال الذين سبقوه والتي تحدثت عن العودة من الجـلاء وعن التجديد ، والتي لا يؤمل المنفيون انجازها . اترى كلمة الرب تخيب وتزول .؟

« العشب ييبس وزهره يسقط ، اما كلمة الرب فتثبت الى الابد » .

(اشعيا : ٨/٤٠ ؛ طالع ١ بطرس : ٢٤/١)

اجل ان كلمة الله « الحية والخالدة » لا يمكنها ان تبقى بدون مفعول . هذا ما يؤكده الرب نفسه :

« لانـه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان الى هناك بل يرويان الارض ويجعلانها تلد وتنبت ... هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي . لا ترجـع الي فارغة بل تعمل ... »

(اشعيا : ١٠/٥٥ ـ ١١)

« من ولد لي هؤلاء »

سينجز الرب ، خالق الكون ومبدعه ، عملاً هو من العظمة والقدرة بمكان ، بحيث لن تذكر ازاءه العجائب والآيات التي سلف فأتمها (اشعيا : ١٨/٤١ ـ ١٩) انه سيغفر لشعبه خياناته العديدة (اشعيا : ٢٥/٤٣ ـ ٢٦) ويسكب روحه على نسل يعقوب عبده (اشعيا : ٣/٤٤) ، وسيعطي اورشـــليم العاقر والمتروكة اولاداً يلقيها عددهم في الدهشة والصراخ :

« من ولد لي هؤلاء وانا ثكلى وعاقر ، منفية ومطرودة ؟ وهؤلاء من رباهم ؟ هأنذا كنت متروكة وحدي . هؤلاء اين كانوا ؟ »

(اشعيا : ٢١/٤٩)

فيجيبها الرب قائلاً :

« هأنذا اجعل كل بنيك تلاميذ الرب وسلام يبيك كثيراً »

(اشعيا : ١٣/٥٤)

ويلاحظ المرء ان في هذه الفقرة من سفر اشعيا اعلاناً عن الخلق الجديد والميلاد الثاني .

« ان هذا ولد هناك »

ولن يكون اولاد اورشليم هؤلاء اولاد ابراهيم حسب الجسد فقط [1] . هذا ما سبق النبي فأكده بقوله :

« ها امة لا تعرفها تدعوها ، وامة لم تعرفك تركض اليك ... »

(اشعيا : ٥/٥٥)

هذا ، ومزمور نظم بعد الجلاء ، يصرح بان اناساً من جميع الشعوب والامم يمكنهم الافتخار بكونهم قد حصلوا على شبه ولادة جديدة في اورشليم الحديثة التي اسسها الله :

« قد قيل بك امجاد يا مدينة الله ... ولصهيون يقال هذا الانسان وهذا الانسان ولد فيها ...

(١) طالع اشعيا : ٥١ ؛ ١ - ٢ .

.. « الرب يعد في كتابة الشعوب ان هذا ولد هناك »

(مز : ٣/٨٧ ... ٥)

العنصرة المعلنة

لقد استعرضنا تقريباً كل الابحاث الخاصة بتغيير القلوب ، والخلق الجديد والميلاد الثاني . اننا لم نسـرد الا نصوصاً قليلة . وهناك نصوص اخرى كثيرة تتغنى بغفران الخطايا المقبل (هو : ٥/١٤ ؛ ار : ١٢/٣٠ ـ ١٧ ؛ اشع : ١٢/٢٤ ـ ١٩ ..) وفيض الروح الذي يقيم الانبياء ويحرك القلوب على الندامة ، ويحول اولئـك الذين يلمسهم الى كائنات جديدة .

لقد حيا القديس بطرس ، نهار العنصرة ، عندما حـل عليه روح التجدد ، تحقيق ايات يوئيل النبي بهذه الاقوال :

« ايها الرجال اليهود والمقيمون في اورشليم جميعاً ليكن هذا معلوماً عندكم، اصغوا لأقوالي .... هذا هو ما قيل على لسان يوئيل النبي » :

« وسيكون في الايام الاخيرة ، يقول الرب ، اني افيض من روحي على كل بشـر ، فيتنبأ بنوكم وبناتكم . . . أجل على عبيدي وعلى إمائي افيض في تلك الأيام من روحي . . . »

(أع : ١٤/٢ ... ١٨ ؛ طالع يوئيل : ١/٣ ـ ٥)

هبة الخلود

ان نقطةواحدة لم يسلط عليها انوار كافية ، ألا وهي : رغبة الله في اشراكنا في حياته الابدية وذلك باعطائنا منحكمته وروحه . لقد اراد العلي ان يحفظ هذا الوحي للفترة الاخيرة التي سبقت تجسد « الابن البكر » فالى هذه يعود قول الحكيم لتلاميذه :

« فأولها الخلاص في ابتغاء التأديب ، وتطلب التأديب هو المحبة . والمحبة حفظ الشرائع . ومراعاة الشرائع ثبات الخلود . والخلود يقرب الى الله ».

(حكمة : ١٨/٦ ـ ١٩)

« وقد صورت جسداً في جوف امي . . . حينئذ تمنيت . . ودعوت فحل علي روح الحكمة . . . »

« وتوجهت الى الاب وسألته من كل قلبي قائلاً :

« يا إله الاباء يا رب الرحمة يا صانع الجميع بكلمتك وفاطر الانسان بحكمتك ... هب لي الحكمة الجالسة الى عرشك ولا ترذلني من بين بنيك ... »

(حكمة : ٢/٧ .. ـ ٩/ ١ ... ٤)

ان هذه الحكمة الآتية من الرب ، والتي بها خاق الكون ، ليست في نظر الحكيم الا الكلمة الالهية التي بها ابدع الله الانسان ، والتي بها يريد ان يمنحه الخلود ويرفعه اليه .

هنا نجد تمهيداً للتعليم الخاص بالميلاد الثاني ، والموجود خاصة عند القديس يوحنا .

ان التعليم القائل بتحويل جذري للناس ، والولادة الثانية والانبعاث لحياة ابدية بفضل كلمة الله وقبول روحه القدوس ، هو حقاً تعليم شامل ، نادى به الرسل والتلاميذ ، وهيأ له القلوب الانبياء والحكماء والمزمرون .

والآن ، أيمكننا ان لا نأخذ بعين الاعتبار تعليماً يرتكز اساسه الوحيد على الله نفسه ، وعلى جمهور غفير من شهود لا غش فيم ؟

- **اذن لنقبل كلام الله ، ولندعه ينمو فينا**
- **لنستسلم للروح الذي ينعش ويقود جميع ابناء العلي**
- **لنترك الله ، خالق الكون وبجدده ، ان يعمل فينا بحرية**
- **لنتبين اكثر فأكثر نعم عمادنا : انها نعم الولادة الثانية ، ونعم الانبعاث ، تعطى لكل من يرغب في الموت عن ذاته ، لكي يدخل في شركة حياة الله الأبدية .**

صدر من :

« سلسلة كلام الله »

١ ـ كيف تقرأ الكتاب المقدس .
٢ ـ بولس رسول الامم .
٣ ـ فجر الكنيسة .
٤ ـ المسيح والانبياء .
٥ ـ الكتاب المقدس والانجيل .
٦ ـ إله المساكين .
٧ ـ المحبة في الكتاب المقدس .
٨ ـ الروح القدس .
٩ ـ ابن الانسان .
١٠ ـ شاهدا ابن الله .
١١ ـ لوقا انجيلي المخاص .
١٢ ـ الاسفار المقدسة (الجزء الاول) .
١٣ ـ يسوع الكاهن الاوحد .
١٤ ـ التوراة والانجيل .
١٥ ـ الاسفار المقدسة (الجزء الثاني) .
١٦ ـ الخليقة الجديدة (الجزء الاول) .
١٧ ـ الحكمة تنطق .
١٨ ـ الخليقة الجديدة (الجزء الثاني) .

تباع هذه الكتب

في الموصل : دير الآباء الدومنيكيين
في بغداد : مدرسة القديس يوسف ـــ العلوية
في حلب : مكتبة المنار ـــ شارع التلل
في القدس (الاردن) : المكتبة الروحية للآباء الفرنسيسكان ص ب ٤١٣٦
في القاهرة : دير الآباء الدومنيكيين ـــ شارع مصنع الطرابيش
في بيروت : مكتبة الآباء البولسيين

بوشـــر بطبع الكتاب
في ١٥ /٤/ ٩٦٧
وانتهى منـــه في ١٩٦٧/٥/٢٠

الخليقة الجديـــدة

(الجزء الثاني)

(جرن العماد في مدينة ليبج ـ بلجيكا)
القديس بطرس يعمـد قائد المئة كورنيليوس

تعريب
الاب عمانوئيل بتق